دَوْرُ الملاحة المغربيّة في البحَار طوال ألف عام

عبد العزيز ابن عبد الله

ARCHIVE

البحر الأبيض المتوسط عرف أوائل القرن الخامس الميلادي عصر هدوء طوال مائة عام تحت إشراف الجرمان الذين دشنوا ألفية العصور الوسطى عام 378م بإزاء البيزنطيين في الامبراطورية الشرقية والوندال غربي المتوسط غير أن خلفاء جنسيريك أو جيسيريك Geiseric ou Genseric المتوفى عام 477م وهو أول ملك وندالي في إفريقيا انهزموا أمام فورة البرابرة الأشاوس الذين انحدروا من الجبال فزحزحوا المغيرين إلى مدن ساحلية بجانب «افريكا» الرومانية القديمة.

وكان البحر المتوسط منذ ذلك مركز التجارة العالمية احتكرته بيزنطة طوال القرن الخامس وقبله وكانت التوابل والحرائر هي مادة هذه التجارة مع إيران والهند والصين والدينار الذهبي هو عملة التبادل خاصة في القرنين الثاني والثالث غير أن الامبراطورية الشرقية لم تهتم - رغم سيطرتها

الاقتصادية ـ بقوتها البحرية نظرا لاعتمادها خاصة على طرقها وحصونها البرية يؤكد ذلك سهولة انفضاض الوندال أواخر القرن الخامس انطلاقا من الشمال الافريقي على جزر البليار وسردينية وكورسيكا بل نهبهم لروما عام 455م واندحار حملتين بحريتين رومانيتين غير أن هزيمة الرومان الشرقيين حدتهم إلى التفكير في إنشاء قوة بحرية تبلورت عام 508م في أسطول عدته مائة سفينة مسلحة وخمسة آلاف بحار وكان هذا الأسطول المتواضع قوة عارضة ما لبث نفس الامبراطور وهو انسطاسيوس أن جدده عام 516م بقطع قارة عززت بمواد متفجرة أشبه بما عرف بعد ذلك بالنار الاغريقية.

واحتفظ البيزنطيون بأسطولهم الدائم الحركة منذ عصر جستنيان الأول المتوفى عام 565م فكانت له طوال القرن السابع قواد ودور صناعة في الاسكندرية والقسطنطينية وقرطاج وعكا وسرقوسة والبليار وحتى سبتة وكانت في طليعة القطع البحرية السفن الحربية السريعة الخفيفة المجذافية المعروفة بـ (Dromons).

وظل الأسطول البيزنطي يجول ويصول في البحر المتوسط دون منازع إلى الغزو الإسلامي حيث تعززت السيادة البحرية بمحاولات دعم اقتصادية استهدفت ولو جزئيا استئصال سيطرة فارس الاقتصادية بقطع أرباحها من تجارة التوابل والحرير وذلك باستجلاب دودة القز التي انتشرت بفضلها صناعة الحرائر وأقمشة الديباج علاوة على مختلف فنون العمارة وفن الفسيفساء في عديد من الجزر والموانئ والحواضر فكانت القسطنطينية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين أعظم مدينة في الشرق بلغت

حضارتها الأوج وسكانها المليون نسمة[1] وغزت تجارتها حواضر العالم تليها قوة مدينة الاسكندرية التي كانت أعظم مدن البحر المتوسط وربما اخترقت مضيق جبل طارق لتصدير القصدير إلى بريطانيا.

☆ ☆ ☆

وقد استهل العرب فتوحهم في البحر الأبيض المتوسط باحتلال الاسكندرية عام 21 هـ / 641م وبذلك بدأ عهد جديد في تاريخ البحر الأبيض المتوسط دفع الفاتح العربي عمرا بن العاص إلى التفكير في البحر كوسيلة للدفاع إذ ما كادت تبزغ سنة 25 هـ / 645م حتى استعادت بيزنطة في حملة بحرية عارمة مدينة الاسكندرية غير أن الجيش الإسلامي تمكن من إجلاء القوات الرومانية وهدم حصون الاسكندرية درءا لكل خطر في المستقبل وكانت هذه وسيلة عابرة موقتة حدت الأمير معاوية إلى تنظيم أول أسطول بحري قام بأول حملة عربية لغزو البحر المتوسط وقد اتجهت قطع هذا الأسطول ـ التي أوصلها مؤرخون عرب إلى 1.700 سفينة ـ عام 28 هـ / 648م إلى جزيرة قبرص البيزنطية كما أغارت على إفريقية التي ثار حاكمها البطريق جريجوري ضد القسطنطينة ونصب نفسه أمبراطورا في حملتين بدأت الأولى عام 27 هـ / 657م والثانية عام 34 هـ /654م ولعل في ذلك العدد من السفن مبالغة لأن البحرية العربية كانت في منطلق نشأتها ولم تكن تتوفر على بحارين نظرا للطابع البري للجزيرة العربية حيث اضطر الخليفة الأموي في دمشق عام 43 هـ / 663م إلى استقدام نوتية فرس لملء بعض ثغور الشام انضاف إليهم عام 49 هـ / 669م

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

1) كتاب جوستينيان (ص 540) لـديهل Diehl المؤرخ الفرنسي المتوفى عام 1944 والمتخصص في تاريخ بيزنطة.

ملاحون عراقيون ومع ذلك بدأ الجانب العربي يتعزز بحريا حيث إن الوالي عمرا بن العاص ما لبث أن أعاد عام 50 هـ / 670م بناء ما حطمه قبل من حصون وقلاع ساحلية في الاسكندرية ـ كما تعزز اقتصاديا لأن عبد الملك بن مروان ضرب لأول مرة الدينار العربي ونقش عليه حروفا عربية مغفلا صورة القياصرة البيزنطيين مما أحنق جوستينيان الثاني (الذي توفى عام 711م) وانتهت انتفاضته ضد دمشق بهزيمة منكرة على حدود آسيا الصغرى وأحرز الأمويون نصرا عظيما في الشمال الإفريقي عام 74 هـ / 693م في حملة ضخمة قوامها أربعون ألف جندي بقيادة حسان بن النعمان ما لبثت أن اخضعت عام 76 هـ / 695م قرطاجة التي تفلتت من أيديهم بعد تدخل الكاهنة الجراوية لتعود بعد ثلاث سنوات 79 هـ / 698م) وبموت الكاهنة عام 81 هـ / 700م انقرض الحكم البيزنطي في إفريقيا.

وقد تزايد اهتمام الخليفة الأموي عبد الملك بالأسطول البحري حيث أمر واليه على إفريقية موسى بن نصير ببناء قاعدة بحرية أي دار صناعة ساعده على إنشائها ألف قبطي من بناة السفن بمصر وكان الأسطول العربي قد استولى على جزيرة قوصرة قرب الشاطئ الإفريقي وعلى المضيق الفاصل بين الشاطئ وجزيرة صقلية وقد تبلورت الاستراتيجية البحرية العربية آنذاك في إقامة دار الصناعة بالمكان الأمين الذي قامت فيه حاضرة تونس وذلك بحفر قناة وصلت هذا المكان بالخليج القريب وهجرت قرطاجة آنذاك وقد أنشأ ابن نصير في القاعدة الجديدة مائة سفينة حربية فتعزز الأسطول الأموي عام 85 هـ / 704م بالقطع البحرية الجديدة وأصبح الشمال الإفريقي منطقة بحرية ثالثة عززت المركزين العربيين في مصر وسوريا وقد برهنت السفن الجديدة على فعاليتها حيث أغارت منذ سنتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأولى المذكورة على كل من صقلية وسردينية ثم قاد موسى بن نصير شخصيا عام 90 هـ / 708م أسطوله نحو جزر البليار حيث أسر حاكم ميورقة ليظفر بعد سنتين بالاستيلاء على جزيرة سردينية وبذلك استطاع ابن نصير أن يدرأ خطر الأسطول البيزنطي عن الجزر الثلاث وانضم آنذاك إلى العرب الكونت جوليان حاكم سبتة الذي مكن طارقا بن زياد أحد قواد ابن نصير من سفنه الأربع لاجتياز المضيق إلى سفح جبل في الشاطئ الشمالي حمل اسمه بعد ذلك وقد أمد ابن نصير قائده بخمسة آلاف مقاتل ولعله استطاع بناء قاعدة في الشاطئ الإفريقي تنطلق منها جيوشه الزاحفة نحو العدوة الشمالية وبذلك تمكن العرب من «الالتفاف» بين عامي 74 هـ / 693م 99 هـ / 717م حول الجناح الأيمن لقوة البيزنطيين البحرية واختراق مراكز الدفاع البيزنطي في شمال إفريقية «وبذلك يكون الإسلام قد صار كالهلال على ما يقرب من ثلثي شواطئ البحر[2] المتوسط بين نهر الرون وبلاد أرمينية وهنا يجدر أن نقارن بين الأسطول البيزنطي والأسطول العربي ونظامي القوتين إلى أوائل القرن الثامن الميلادي فقد كان أسطول بيزنطة يتألف من مجموعة مركزية وأربعة أساطيل إقليمية ترابط ثلاثة منها شرقي المتوسط وإثنان في غربه[3] والمركز الجامع هو القسطنطينية وكان للأسطول قائد أعلى للاميرالية البحرية يخضع له نائب أميرال وكان لكل منها بحارته ودور صناعته وأحواض بنائه ومعداته البحرية تصدر نفقاتها عن الأقاليم التي ترابط بها.

---

2) كتاب (القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط) ـ ارشيبا لدبويس ـ ص 103 (مكتبة النهضة المصرية 1960).

3) يرابطان في صقلية مع أسطول ثالث محتل في إفريقية إلى نهاية القرن السابع يشمل جزر البليار وسردينية وسبتة والمواقع البيزنطية في اسبانيا.

أما البحرية الأموية فمن الصعب تحديد تنظيماتها بنفس الدقة إلا أن المفروض هو وجود ثلاثة أساطيل لكل واحد منها استقلال ذاتي ويرابط في إقليم خاص به (مصر أو سورية أو شمال إفريقيا) بالإضافة إلى وحدة بحرية (في بحر القلزم أو البحر الأحمر) خاضعة للأسطول المصري وانعقد لواء كل أسطول لأمير من أمراء البحر وكان كل أسطول يواجه الأساطيل القريبة منه في آسيا الصغرى أو صقلية أو الأسطول المركزي في القسطنطينية وقد كان أمير البحرية المصرية هو القائد العام للأساطيل[4] الثلاثة التي اشتركت مجتمعة في الحصار الثاني للقسطنطينية إلا أن الأسطولين العربي والبيزنطي امتاز كلاهما بالاستقلال الذاتي في الغرب أمام مراكز دور الصناعة في العصر الأموي فقد كانت في الفسطاط والقلزم هي القواعد الأولية لبناء الأسطول العربي منذ الانطلاقة الأولى في عهد معاوية وكذلك في عكا التي أصبحت أعظم قاعدة في سوريا في حين أقام عبد الملك بن مروان على غرار سلفه معاوية دار صناعة لأول أسطول عربي في إفريقية بعد عام 81 هـ / 700م ومع ذلك فلم يكن للقوة البحرية العربية أثر في دعم الزحف الإسلامي في اسبانيا وجنوب فرنسا رغم تفوق هذه القوة على السفن الفرنجية ومما يدل على مدى سمة الدعوة والتمدين في الحركة الإسلامية في البحر المتوسط آنذاك أن العرب لم يستغلوا فتوحاتهم لاكتساح السوق التجارية في البحر المتوسط عدا التخلص من وطأة ضريبة القموح التي كانت تدفعها مصر للقسطنطينية والتي أصبحت تكدس في الاسكندرية لتوجه بدلا من تموين بيزنطة إلى إمداد مكة والمدينة على أن الفاتح العربي بدأ يضع تشريعات بحرية جديدة مغايرة لما فرضه جستنيان في القرن السابع خاصة بصدد

---

4) Bury (Byzantine naval Policy) p. 39

الإيراد والتصدير وأصبح الشمال الإفريقي الثري خير مصدر للذهب وزيت الزيتون والحبوب والخيول والجمال ما بين 76 هـ / 695 و87 هـ / 705م بالإضافة إلى ما كان يصنع فيه آنذاك من طنافس فاخرة وهذا العهد الجديد الذي خلقه العرب في البحار أدى على الأقل إلى إيقاف التجارة الحرة التي كانت منبع شراء بيزنطة لتصبح تجارة حرة لفائدة الجميع فانطلقت بيزنطة مجهدة نفسها في تخريب الاسيسة الاقتصادية في المتوسط وتفكيك الوحدة التي رجع الفضل إليها قديما في ربط أجزاء البحر المتوسط بعضها ببعض ورغم ما يدعيه بعض المغرضين من مشوهي تاريخ الفتوح العربية فإن البيزنطيين هم الذين كرسوا كل قواهم الحربية المدمرة للانتصار بين 97 هـ / 715م و135 هـ / 752م على الأمويين ولو على حساب رخاء ورغد البحر المتوسط وقد تدهور الوضع في إفريقية الشمالية من جراء ذلك وخاصة بسبب السياسة العنصرية التي نهجها بعض الأمويين في تحميس البربر مما أدى إلى ثورة ميسرة المضغرى حول طنجة عام 122 هـ / 739م وفي نفس السنة تخربت المدن الجنوبية بفرنسا نظرا لتوقف استغلال بيزنطة لتجارة سورية ومصر مما أدى إلى الكساد الاقتصادي الذي عرفته فرنسا الكارولنجية منذ عام 98 هـ / 716م.

ويظهر أن بيزنطة احتفظت بقوة بحرية فعالة في مياه البحرين المتوسط والأسود إلى أوائل القرن الثامن الميلادي لأن القوة البحرية الأندلسية التي تركزت في إمارة سرقسطة كمركز لحماية حدود الأندلس ضد هجمات الكارولنجيين لم تستعمل إلى عام 182 هـ / 798م الا للإغارة على مرسيليا عام 798م وإيطاليا عام 162 هـ / 778م وناربون عام 177 هـ / 793م مما يدل على أن الأسطول الأموي في الأندلس وجه ضرباته

لامبراطورية الفرنجة لا البيزنطيين الذين كانوا في عداء مسلح مع هؤلاء والحقيقة أن القوة النسبية التي ظهرت بها السفن البيزنطية ترجع أيضا إلى ضعف الأسطول السوري الذي لم يستطع إيقاف انفصال عبد الرحمن الأول الأموي عام 139 هـ / 756م عن الخلافة العباسية التي لم تتمكن حملات أسطولها من الوصول إلى الشواطئ الأندلسية وقد مهد ذلك لانبثاق مملكة الأدارسة المستقلة بالمغرب الأقصى عام 172 هـ / 788م ثم الأغلبية عام 185 هـ / 800م وظلت مصر وحدها خاضعة للعباسيين ورغم ما كان للبحرية العربية من قوة غربي المتوسط فإن العواصم الجديدة كفاس وتونس وقرطبة اتسمت ببعدها عن البحر أي عن خطر الأساطيل الفرنجية لأن بيزنطة بدأت تفقد قوتها البحرية منذ أوائل القرن الثامن الميلادي ولذلك استطاع الأسطول الأندلسي الإغارة منذ عام 182 هـ / 798م على جزر البليار وبعض مدن الساحل الشمالي إلى أن استفحلت مغامرات السفن العربية عام 199 هـ / 814م بوصول ثوار ربض قرطبة[5] الذين استطاعوا فرض سيطرتهم على الاسكندرية مدة اثنى عشر عاما حتى طردهم العباسيون الذين تحركت نخوتهم منذ عام 191 هـ / 806 هـ - بعد عشرين سنة من خمود الأسطول السوري فأغار أسطولهم على (قبرص) ثم في العام التالي على (رودس) مع فرض جزية سنوية أصبحت القسطنطينية تدفعها لبغداد ولعل تدخل أسطول الأغالبة في إفريقية عام 190 هـ / 805م هو الذي أسهم في هزيمة البيزنطيين برا وبحرا لا سيما بعد أن فرض الأغالبة اتفاقية لعشر سنوات مع بطريق صقلية جددت عام 198 هـ / 813م دون أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

5) الأندلسيون الربضيون الذين ثاروا على الأمير الأموي الحكم فنفاهم ونزلوا بالأسكندرية ثم أقاموا في جزيرة كريت التي انتزعوها من البيزنطيين وجعلوا منها وكرا للقرصنة.

يحول ذلك بينهم وبين مهاجمة سردينية في السنة نفسها ـ رغم تعرض مائة سفينة عربية للغرق من جراء العواصف ـ ثم الإغارة على صقلية عام 209 هـ / 820م واحتلال سردينية في السنة التالية وهذا التناسق الذي كان تلقائيا أحيانا ـ بين أساطيل المسلمين في سورية والأندلس والشمال الإفريقي والذي تحدى سلطان بيزنطة هو الذي حدا شرلماني الذي كان يعاني الأمرين من ضغط لبيزنطة والأندلس معا ـ إلى إنشاء أسطول ضخم بلغ ألف سفينة بحرية في قاعدتين إحداهما على ساحل طرطوشة وبرشلونة (التين احتلهما شرلماني عام 197 هـ / 812م) والأخرى على طول الساحل الإيطالي مما ساعد الأسطول الجديد على الانتصار قرب جزيرة ميورقة عام 198 هـ / 813م وفي ساحل بونة (بالجزائر) عام 213 هـ / 828م مما أتاح للبيزنطيين أن يتنفسوا الصعداء ولو لفترة قصيرة إلى أن قامت ثورة داخلية صقلية أطاحت بقوة القسطنطينية البحرية بين عامي 206 هـ / 821م و208 هـ / 823م وقد انكشف ذلك عام 212 هـ / 827م عندما أغار الربضيون النازحون عن الاسكندرية على جزيرة (كريت) ونزلوها دون مقاومة وظلوا مثارا للرعب للامبراطورية البيزنطية طوال قرن ونصف قرن.

وفي تلك الأثناء استطاع الأغالبة مهاجمة صقلية أحد مفاتح المتوسط وانتصروا على أسطولها البيزنطي بسفن انطلقت من سوسة بلغت ما بين السبعين والمائة سفينة مجهزة بعدة آلاف من الرجال وبذلك انفتح عهد جديد انهارت فيه قوة بيزنطة البحرية وازدادت السيادة الإسلامية على البحار لا سيما بعد أن تعززت قوة الأغالبة تلقائيا بأسطول الأندلس وهي الدولة الوحيدة في غرب البحر المتوسط التي لم تخضع للسيطرة التجارية

البيزنطية وقد ظل التجار البندقيون يواصلون نشاطهم الاقتصادي بفضل مسالمتهم للمسلمين ومخالفاتهم لاتجاهات السياسة البيزنطية التي حظرت على البندقية ومثيلاتها مثل نابلي الاتجار مع الموانى الإسلامية في شمال إفريقيا ومصر وسورية على أن تجار الشمال الإفريقي قاموا بما قام به آنذاك الإيطاليون بالنسبة لأوربا - بدور الوساطة بين سورية ومصر من حيث ينقلون السلع المختلفة بحرا لتوزيعها على البلاد الإسلامية في الغرب وبذلك انتقلت ثروة التجارة البحرية إلى أيدي المغاربة وساعد على ذلك تدهور البحرية العباسية حتى في البحر الأحمر الذي كان ممرا لنقل توابل الشرق وقد انهارت هذه التجارة أوائل القرن الثامن الميلادي إذا استثنينا نشاط اليهود الذين كانوا يعبرون برزخ السويس إلى بحر القلزم وعدن ثم بلاد الصين لا سيما وأن القناة التي حفرها عمرو بن العاص بين النيل والبحر الأحمر كانت قد طمرتها الرمال ومن مظاهر ثراء المغرب آنذاك أن الدرهم الفضي ظل عملة الرواج السائدة في الشمال الإفريقي وخاصة في فاس حيث سكت عملة تحمل تاريخ 185 هـ / 801م وتوجد قطعة منها في متحف كاركوف بروسيا. هذا بينما ساد استخدام الدرهم الفضي الذي سكه الأمويون.

وقد سقطت صقلية فعلا في قبضة الأغالبة عام 831م ثم جزيرة قوصرة عام 835م بفضل أسطول إفريقي اشتمل على حراقات وهي سفن تقذف بلهب النفط ضد صمود النار الاغريقية التي كان يستخدمها البيزنطيون وهو سلاح عربي سري جديد مكنهم من المزيد من السيطرة على البحار وحيث بلغت هجماتهم حتى المراكز البيزنطية في كل من البحر الايوني (بين إيطاليا واليونان) والادرياتي وقد احتل مسلمو كريت أو شمال

إفريقية عام 224 هـ / 838م ـ إقليم (برنديزي) رغم تدخل أسطول بندقي من ستين سفينة كما أقام مسلمون في مدينة باري Bari (على الادرياتيك) عام 228 هـ / 841م دولة إسلامية تماثل دولة بالرم في صقلية استمر وجودها أكثر من ثلاثين عاما اعترفت بغداد لها بالاستقلال والسيادة ولم يستطع حصار لويس الطويل لمدينة باري زحزحة المسلمين عنها عام 850م / 236 هـ وبذلك أصبح بحر الادرياتيك عرضة لغارات الأساطيل العربية ولم ينج من هذه الهجمات البحرية حتى أسطول البندقية كما أنزل المسلمون عام 232 هـ / 846م قوات على سواحل الأراضي البابوية إلى ضواحي روما ذاتها مما حرك القسطنطينية لإرسال أسطول إلى (سرقوسة) عدته ثلاثمائة سفينة فأحرز الأسطول الإسلامي نصرا عظيما في معركة بحرية فقد البيزنطيون فيها مائة سفينة وهي أخطر هزيمة مني بها الأسطول البيزنطي منذ عام 226 هـ / 840م وقد واصل الأسطول الإسلامي فتوحاته فاستولى على جزيرة مالطة عام 257 هـ / 870م وتعزز بذلك نفوذ الأغالبة على المضايق الواقعة بين صقلية وإفريقية ومع ذلك لم تند حر قوة بيزنطة البحرية بصورة تامة لأنها جددت أسطولها عام 272 هـ / 885م ولم يمنع ذلك السفن الإسلامية من غزو قلورية عام 275 هـ / 888م والحاق هزيمة شنعاء بالبيزنطيين وتحطيم سفنهم عام 282 هـ / 895م فانصاعوا لصلح فقدت القسطنطينية فيه سيادتها الموقوتة على مياه صقلية وغرب إيطاليا حيث أنزل الأغالبة بعد سبع سنوات الضربة القاضية في حملة بحرية عام 290 هـ / 902م سقط مجموع الجزيرة الصقلية في قبضتهم غير أن الصراع بين الأقاليم الإسلامية كان يوقف انتفاضات الأسطول العربي ولو إلى حين فقد استولى الفاطميون على تونس عام 297 هـ / 909م

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأصبحوا سادة القيروان وما لبث مسلمو صقلية أن هبوا ضدهم عام 301 هـ / 913م فحطموا فرقة بحرية إفريقية قرب المهدية واستمر الحرب سجالا إلى عام 305 هـ / 917م حيث سيطر الفاطميون على الجزيرة بعد أن قضوا المدة السالفة في غارات هوجاء ضموا إثرها مصر إلى نفوذهم ولكن قوة بحرية جديدة مشتركة بين بيزنطة وإيطاليا (بزعامة نيقولا الصقلي Nicolas) (Pincingly) وكذلك قوات من الأملاك البابوية أغارت على مواقع المسلمين وحررت البلاد الإيطالية بعد نصف قرن من مضايقات السفن الإسلامية لها إلا أن محاولات هذا الأسطول الجديد فشلت أمام سفن أصغر جزيرة إسلامية في المتوسط التي احبطت غارتين بيزنطيتين قد جهزت آخرتها بسبعين سفينة حربية شاركت فيها اليونان فأحرز مسلمو كريت عام 225 هـ / 839م نصرا باهرا دمروا فيه الأسطول البيزنطي الذي تجهز بعد أربع سنوات في القسطنطينية 229 هـ / 843م. لإعادة الكرة من جديد فعجز حتى عن الاقلاع من موانيه طوال عشر سنوات إلى عام 239 هـ / 853م بفضل قوة تجهيزات (كريت) وحنكتها البحرية وظلت القسطنطينية تستعد طوال ربع قرن إلى عام 266 هـ / 829م للاجهاز على هذه الجزيرة التي أقضت مضاجعها فتحطم هذه المرة جزء من الأسطول الكريتي في خليج (كورنث) Corinthe فتوقف الصراع ربع قرن آخر إلى عام 292 هـ / 904م حيث وجهت كريت أقسى ضرباتها على ثاني حاضرة في الامبراطورية البيزنطية هي (سالونيك) التي استسلمت تحت نيران قاذفات اللهب الكريتية واقتيد إثنان وعشرون ألف أسير من سكانها إلى مختلف الأقطار الإسلامية[6] دون أن يثني ذلك نخوة بيزنطة التي تحطم أسطولها

6) القوى البحرية... ارشيبالد ص 224.

مرة أخرى عام 298 هـ / 910م وظل التهديد الكريتي منصبا على بحر إيجي والأسطول البيزنطي إلى عام 311 هـ / 923م وقد جرؤ قبل ذلك على مهاجمة إنطاكية سنتي 213 هـ / 828م و227 هـ / 841م فهب العباسيون بأمر المعتصم لتعزيز أسطول كريت والشمال الإفريقي فبنوا عام 228 هـ / 842م أسطولا من أربعمائة قطعة تحركت إلى بحر إيجي ولكن العواصف الهوجاء تلقفته قرب سواحل آسيا الصغرى فلم تبق منه سوى أربع سفن غير أن الغارات البيزنطية توالت إلى عام 266 هـ / 879م بالانتصار على أهل كريت ثم ما بين 267 هـ / 880 و273 هـ / 886م بهزيمة الأغالبة وأهل صقلية نظرا للصراعات الداخلية التي صرفت أهل طرسوس (بتركية) وسورية ومصر بسبب امتداد النفوذ الطولوني - عن أعدائهم البيزنطيين فكان لاستعادة العباسيين سلطتهم بمصر عام 292 هـ / 904م أكبر الأثر في ظهور قوة بحرية إسلامية جديدة ظلت مع الأسف إلى عام 308 هـ / 920م تواجه خطرا إسلاميا هذه المرة هو خطر الأسطول الفاطمي الذي انهزمت مع ذلك قطعه السبعون وبذلك تدعمت جزيرة (كريت) إلى أوائل القرن العاشر الميلادي بأسطول مسلمي طرسوس وسورية ومصر زاده فعالية ظهور عدو جديد لبيزنطة هو الروس أصحاب (كييف) وجنوب روسيا وهم أسكند ناويون وسويديون قاموا منذ سنة 246 هـ / 860م بغارة واسعة على القسطنطينية استغلوا هزيمتها النكراء عام 245 هـ / 859م قرب صقلية على يد أسطول الأغالبة وأغاروا ثانية عليها بعد نحو نصف قرن (عام 295 هـ / 907م).

وفي هذه الأثناء بقي الأسطول الأموي قابعا في الأندلس نظرا لعدائه للعباسيين ومجاملته للبيزنطيين غير أن التقاعس لم يصل إلى حد مساعدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفرنجة ضد المسلمين لأن الامبراطور (تيوفيل) طلب من عبد الرحمن الثاني منذ 225 هـ / 839م العون ضد مسلمي صقلية وإفريقية فلم يستجب إلا بالمجاملة السلبية.

والواقع أن الأسطول الأندلسي كان متجها إلى عدو آخر ناصب الإسلام العداء غربي أوربا فتركزت قطعه منذ أوائل القرن التاسع الميلادي على طول الساحل الشرقي بين طرطوشة وبلنسية وباقي السواحل الكارولنجية وبدأت غاراتها عام 224 هـ / 838م على مرسيليا إنطلاقا من جزر البليار واتخذت قواعد لها عند مصب الرون في جزيرة كامرج Camargue مما اضطر شارل الأصلع Charles II le Chauve ملك فرنسا وامبراطور الغرب (840م ـ 877م) ـ إلى الانصياع بتوقيع صلح مهين عام 250 هـ / 864م فاستكانت هذه المنطقة لبعض الراحة من غارات الأسطول الأموي الذي واصل تجهيزاته بإقامة قواعد عام 275 هـ / 888م على سواحل (بروفانس) وحوض الرون الأدني وهي مناطق قاست المرائر من الغزو الإسلامي طوال 84 سنة مما أدى إلى انتشار النفوذ الإسلامي في جبال الالب والممرات بين فرنسا وإيطاليا إلى البحر المتوسط ومع ذلك فإن الأسطول الأموي ظل ضعيفا لعجزه عن الصمود في وجه غارات الشماليين عام 230 هـ / 844م عندما هاجم أسطول القراصنة الاسكندناويين لشبونة بثمانين سفينة تجاوزت في نهبها وسلبها مدينة اشبيلية الأندلسية إلى حاضرة نكور بالمغرب الأقصى غير أن هؤلاء الشماليين لم يجرؤا على مراسي بني الأغلب القوية ولا حتى بعض المرافئ الأندلسية التي كانت لها أساطيل بحرية بين دانية وطرطوشة ويظهر أن قرطبة الأموية لم تستطع إنشاء أسطول لها إلا في عهد عبد الرحمن الثالث لأن القطع التي استهدفت بها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاغارة على جليقية المسيحية عام 266 هـ / 879م غرقت بمجرد بلوغها مياه المحيط نظرا لرداءة تجهيزاتها وضعف ملاحيها.

وهكذا يمكن القول بأن البحر المتوسط كان أوائل القرن العاشر الميلادي موزعا بين مسلمي جزر البليار غربا وصقلية في الوسط وكريت شرقا قبل ظهور الأسطول الأموي المجدد وبالرغم عن انتعاش أسطول بيزنطة الذي بدد عام 941م قوة بحرية روسية تحركت لمهاجمة القسطنطينية بألف سفينة تحت قيادة إيجور Igor أمير كييف فإنه أخفق في حملته عام 338 هـ / 949م ضد كريت التي ظلت في قبضة المسلمين ومنذ استقر سلطان الفاطميين في صقلية عام 305 هـ / 917م انطلقوا يوالون غاراتهم على قلورية وسلى نو ونابلى التي لم ينجدها سوى الخنوع بدفع الجزية للعرب لا سيما بعد أن هاجمها الفاطميون عام 317 هـ / 929م بأربع وأربعين سفينة وأرسلوا عام 324 هـ / 935م أسطولهم ضد كورسيكا وجنوة حيث حرقوا الكثير من السفن ثم حولوا نشاطهم إلى إيطاليا البيزنطية قبل عام 339 هـ / 950م إذ أغاروا من جديد على قلورية فلم يعد السلام للمنطقة إلا بتجديد الجزية وأصبحت المراسي الإيطالية تتخلص من سيادة بيزنطة التي عجزت عن إنقاذها من ضغط الأسطول الإسلامي وكان الرستميون والأدارسة حلفاء للأمويين بالأندلس فاضطر الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث خوفا من مغبة نوايا جيرانه الفاطميين إلى تشييد أسطول ضخم استولى عام 319 هـ / 931م على سبتة وأحرق عام 333 هـ / 944م معظم سفن قراصنة الشمال في اشبيلية وبالفعل أغار الأسطول الفاطمي عام 343 هـ / 954م انطلاقا من صقلية على الأندلس فهاجم المرية قاعدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأسطول الأموي الرئيسة فانتقم الأمويون بإرسال سبعين سفينة ضد الشواطئ الإفريقية وبالرغم عن جولات جوهر الصقلي أقدر قواد الفاطميين ضد الجزائر والمغرب الأقصى فإن قوة عبد الرحمن الثالث ظلت مسيطرة على جزر البليار والقواعد الأمامية على طول ساحل فرنسا الجنوبي مهددة قوة الفاطميين في صقلية وشمال إفريقية.

والواقع أن روح القرصنة كانت سائدة آنذاك سواء عند المسلمين أو المسيحيين وكانت أوكارهم في جزر المتوسط وموانيه مستقلة داخليا بتشجيع من السلطات الرسمية التي كانت تشاركهم التمتع بقسط من أسلاب القرصنة مما سيكون له مثيل في بحبوحة القرن السادس عشر الميلادي حيث نهجت (اليزابيث) ملكة انجلترا نفس السياسة وهذا لم يمنع من وجود أساطيل نظامية لدى الأغالبة والفاطميين والأمويين الذي تساوقت تنظيماتهم فكان أمير البحر لدى الأمويين هو المشرف على مائتي سفينة في المرية وبجاية وأحد القادة الأربعة الكبار الذين تعتمد عليهم الخلافة كما كان قسيم الخليفة في السلطان هذا يحكم البر وذلك يسيطر على البحر وقد كان لكل سفينة قبطان مسؤول عن الأسلحة والمحاربين وكبير للبحارة أو رئيس يتولى إدارة الشرع والمجاذيف وللحملة البحرية قائد من الأمراء أو أصحاب المناصب العليا إذا لم يتول القيادة كبير أمراء البحر بنفسه ويظهر أن نظام الأسطول الإسلامي في الشرق كان شبيها بالنظام البحري غربا فكان كلاهما مجهزا بمركب نفطي مشابه للنار الاغريقية في شكل حراقات قاذفات للهب ترمي سفن الأعداء بمادة سريعة الاشتعال كما وقع عندما أحرق الفاطميون أسطول البحر التيراتي عام 324 هـ / 935م.

ويظهر أن سفن الامبراطورية البيزانطية كانت أكثر ضخامة رغم اضطرارها إلى ملازمة الدفاع دون الهجوم إذ اتضح أن أساطيل بيزنطة كانت تدرب على تجنب ملاقاة العدو إلا في حلات الضرورة القصوى حيث كانت تعتبر سندا فقط للقوات البرية ومع ذلك فقد ظلت القوة البرية لدى المسلمين موازية للقوة البحرية حيث ظلت الحدود بين الطرفين بالأندلس من عام 212 هـ / 827م إلى عام 349 هـ / 960م[8] هي هي دون كبير تغيير إلا أن القوات البحرية الأموية تدخلت عندما حاول القشتاليون توسيع حدودهم صوب الجنوب وحتى بالنسبة لبيزنطة كان الخطر البري يأتي من جهة البلغار والقبائل الأسيوية الرحالة.

وفي هذا العام (960م) كان الأسطول البيزنطي الذي هاجم جزيرة كريت يضم ألفي سفينة حربية (1360 للسفن والامداد) ومنها ما كان به 250 مجدفا في أربعة صفوف من المجاديف ومنها سفن كانت صالحة لانزال الجنود مع القدرة على الرسو بالشاطئ بفضل زلاقات تعبر من فوقها إلىالبر وقد حدا هذا الخليفة العزيز الفاطمي إلى بناء أسطول حربي من ستمائة قطعة في مثل هذه الضخامة بدار صناعة جديدة بالمقس عام 995م وقد وصف لنا ناصرى خسرو الرحالة الفارسي في القرن الحادي عشر إحدى هذه السفن بأنها تبلغ 275 قدما طولا و110 أقدام عرضا إلا أن مؤامرات بيزنطية خربت دار صناعة المقس عام 995م بواسطة عملاء من التجار اليونانيين الذين ألقي عليهم القبض آنذاك وأعدموا واستمر بناء الأسطول

8) راجع كتاب الخطط الحربية Tactita (ليو ص 989).

بعد ذلك إلا أن الظاهرة المزعجة في خصوص تطور الأسطول الإسلامي في البحر المتوسط ـ رغم توفره على العدة الكافية من الأخشاب والحديد لبناء السفن ـ هي انعدام وحدة بحرية شاملة تضم أشتات أساطيل الدول الإسلامية المحيطة بالبحر فكان للوسط أسطوله في صقلية وللغرب قوته في الأندلس ولشرقه أسطول أضخم في كريت وسورية ومصر توحدت قطعه في عهد الطولونيين والاخشيديين إلا أن الاصطدام بين هذه القوات البحرية الثلاث لم يقع إلا أوائل القرن العاشر بظهور الفاطميين الذين وجهوا ضرباتهم للمصريين والأندلسيين معا من عام 302 هـ / 914م إلى 339 هـ / 950م فكان من مظاهرها وجود ثلاث خلافات إسلامية بقرطبة والمهدية وبغداد[9] ومع ذلك فإن سيادة الأسطول الإسلامي كان لها كبير الأثر على إنعاش التجارة الدولية بين شقي البحر المتوسط الشرقي والغربي لا سيما بعدما تم تصنيع الأندلس وإفريقيا الشمالية بالإضافة إلى امتداد الزراعة من خلال انتشار نباتات المناطق الحارة كالليمون والبرتقال والأرز وتوت دود القز وقصب السكر ففرض الغرب الإسلامي سياسته الاقتصادية في المتوسط بتوسيع تداول الذهب مظهر رخائه وثرائه ـ في شكل الدينار الذي أصبح عام 950م نقدا دوليا بينما كان مقتصرا حوالي 184 هـ / 800م على شمال إفريقية وسورية ومصر وقد سك عبد الرحمن الثالث منذ أوائل القرن العاشر الميلادي دينارا أندلسيا على قاعدة الذهب لا الفضة واستمر ذلك بالمغربي الأقصى وحتى في صحرائه الممتدة إلى حدود السنغال من عهد المرابطين[10] إلى القرن الماضي وقد أحدث هذا التطور تغييرات جذرية في

9) القوى البحرية... ارشيبالد ص 252.

10) حيث بلغ 3,960 غرام من الذهب ثم ارتفع أيام الموحدين إلى قيمته في صدر الإسلام وهي ما بين 4,729 و4,25 غرام.

اقتصاديات المتوسط وازنت بين التصنيع والتنقيبات المنجمية والزراعة وهنا ظهر عنصر جديد كان له أثره في المساس بميزان القوى في المتوسط ففي الوقت الذي كان المسلمون يغيرون على إيطاليا حيث هاجموا مدينة بيزة عام 395 هـ / 1004م انطلاقا من الشواطئ الإفريقية ومن الأندلس معا ـ مواصلين هجماتهم على طول الشواطئ الإيطالية ـ ظهر النورمان لأول مرة فأحدق الخطر بصقلية الإسلامية وعاصمتها (بالرم) فاستنجدت ببني زيرى حكام المهدية[11] الذين سارعوا إلى تقديم العون وكان المعز بن باديس قد بنى أسطولا فسارع حوالي 418 هـ / 1027م إلى إرسال أربعمائة سفينة لنصرة أهل صقلية قضت على معظمها عواصف عاتية قرب جزيرة قوصرة وأنقذت صقلية أحداث أخرى مكنتها من مواصلة الصراع بجنب شمال إفريقية حتى أصبحت شواطئ اليونان عام 424 هـ / 1032م هدف البحرية الإسلامية ولكن أسطولا بيزنطيا استطاع عام 421 هـ / 1035م أن يقضي على الأسطول الإسلامي في شواطئ ليسيا Lycia (من آسيا الصغرى) فجنحت صقلية للسلم بسبب خلافاتها الداخلية بين العرب والبربر واعترف أميرها بسيادة القسطنطينية التي اكتسحتها مع ذلك عام 430 هـ / 1038م غير أن البيزنطيين مالبثوا أن انهاروا عام 434 هـ / 1042م فتدهورت قوتهم البرية والبحرية وفقد الأسطول الفاطمي في نفس الوقت الكثير من مقوماته وكان النورمان من طوائف غرب أوربا التي شاركت في غزو صقلية عام 430 هـ / 1038م كما شاركت عام 409 هـ / 1018م مع القراصنة الفرنسيين في المحاربة بجانب أمير برشلونة ضد مجاهد بن يوسف

---

11) كانت لهم دار صناعة بالمهدية مكنتهم من بناء مائتي سفينة دفعة واحدة في المرة الأولى منذ عام 407 هـ / 1016م.

العامري فتبلور في ذلك كله الاتساع الأوربي الغربي جنوبا نحو البحر المتوسط وكان العامري هذا أحد ملوك الطوائف الذين ورثوا عرش الأمويين فأعد انطلاقا من حاضرته في دانية أسطولا قويا ضم به جزر البليار إلى أملاكه عام 405 هـ / 1014م ثم هاجم عام 406 هـ / 1015م سردينية على رأس مائة وعشرين سفينة وظل هذا الأسطول يهدد شواطئ المسيحيين حيث أغار على إقليم برشلونة عام 409 هـ / 1034م وتساوق ظهور النورمان مع الانتعاش المفاجئ للقوة البحرية في كل من بيزة وجنوة وكامل ساحل إيطاليا الشمالي الغربي فطردتا العامريين من سردينية عام 407 هـ / 1016م بل تجرأتا 426 هـ / 1034م على مهاجمة (بونة) الجزائرية وقد استطاعت (بروفانس) في نطاق بحرية أوربا الغربية أن تطرد المسلمين من ربوعها ولم يستهل عام 435 هـ / 1043م حتى أصبح هؤلاء البحارة الإيطاليون أصحاب القوة المداهمة في مياه هذا البحر الذي ظهر في منتصف القرن الحادي عشر بمظهر جديد كان أقل مجاليه استيلاء بيزنطة على كريت وقبرص وشمال سوريا وانحصرت الطريق البحرية بين بلاد الغرب والشرق الإسلامي في سبل وعرة على طول الشاطئ الإفريقي بين سوسة والاسكندرية وذلك نظرا لانهيار كريت حامية شواطئ مصر وقبرص حامية السواحل السورية وهذا التقدم الذي طرأ على المجال الملاحي في القرن الحادي عشر الميلادي يرجع في الحقيقة إلى طروء تغييرات جذرية في مجتمعات أوربا الغربية في نفس الوقت الذي طرأ انحلال خطير على المسلمين شرقا وغربا خاصة بعدما تقاعست الارستقراطية العربية عن الجهاد بالأندلس تاركة الحبل على الغارب لمرتزقة مسيحيين مغامرين وقد تبلور هذا التطور الذي تدرج نحو نصف قرن إلى انتصار أساطيل غرب أوربا

الإيطالية على قوتي المسلمين والبيزنطيين البحريتين وأصبح الأوربيون عام 494 هـ / 1100م سادة كورسيكا وسردينية وصقلية وجنوب إيطاليا والأقاليم الساحلية في فلسطين وسورية بالإضافة إلى سيطرتهم على طرق التجارة البحرية بين الشرق والغرب.

وزاد الطين بلة اكتساح بني هلال وبني سليم لمصر وتونس عام 444 هـ / 1052م فانهار بنو زيرى وتبعهم الحماديون في قلعتهم (قلعة بني حماد) وتجمع المهاجرون من اشتات الدولتين في منطقة التلال (منطقة القبائل الصغرى) وعقد صاحب المهدية معاهدة حلف وصداقة مع روجير عام 468 هـ / 1075م كما انتكس الشرق في سورية ومصر حيث ثارت عام 452 هـ / 1060م جيوش العبيد والمرتزقة موالي الفاطميين والغريب أن المرابطين تحركوا في نفس السنة وحاولوا توحيد الراية الإسلامية عام 479 هـ / 1086م إلى بجاية وكانت قوة بيزة قد هاجمت في العام التالي 480 هـ / 1087م بأربعمائة سفينة مدينة المهدية معقل الزيريين على ساحل تونس واستطاع ملك قشتالة أن يحتل طليطلة عام 478 هـ / 1085م وأجبر المعتمد بن عباد أمير اشبيلية على الانصياع وأسهمت المدن الإيطالية في هذا الزحف الصليبي على الأندلس كما شاركت قوة النورمان التي انطلقت تدعم عدتها الحربية منذ أن استولى على زعامتها روبرت جسكارد عام 435 هـ / 1043م فاعترف البابا بمركزه كامبر تابع للبابوية وظهر أخوه روجر في جنوب إيطاليا حيث كان يشرف على كتائب نورماندية فاستطاع بست وخمسين سفينة احتلال مدينة بلرم عاصمة المسلمين بصقلية ثم استولى عام 480 هـ / 1087م على سرقوسة وأكمل احتلال الجزيرة بعد ثلاثين سنة من الغزوات الموصولة اعقبها عام 483 هـ /

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

1090م بالاستيلاء على مالطة رغم معارضة السفن البندقية له فتفاعل كل ذلك لخلق ما سمي بالحرب الصليبية الأولى حيث خرجت عام 490 هـ / 1096م من غرب أوربا أشتات من البشر يقودها بطرس الناسك ووالتر المفلس حيث وصلت إلى القسطنطينية كقوات اقطاعية تستهدف الغنائم في مسارها وكان أسطول جنوة والبندقية هو الذي أعان الجيوش الصليبية عام 494 هـ / 1100م على الاستيلاء على (يافا) دون أن يستطيع أسطول الفاطميين الوصول إلى المياه السورية لصد الصليبيين الذين بادر الأسطول المرابطي إلى مطاردتهم شرقي البحر المتوسط إلى سواحل الشام[12] والواقع أن القطع البحرية التي أنشأها يوسف بن تاشفين قد خاضت غمار المتوسط في شقيه وانبرى الزعيم المرابطي قبل الحرب الصليبية الأولى لتحرير إمارات الطوائف فاحرز في معركة الزلاقة عام 479 هـ / 1086م ضد الفونس السادس ملك قشتالة (1065 ـ 1109م) نصرا تردد صداه في الشرق والغرب وذاع صيت القائد الظافر الذي لقب منذ ذلك بأمير المسلمين مع استمرار دعوته لدار الخلافة العباسية تركيزا للوحدة الكبرى وتكونت امبراطورية واسعة ضمت الصحراء والمغارب الأربعة (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى) والأندلس تحت الحكم المرابطي ثلاثة أرباع قرن (إلى عام 537 هـ / 1142م وقد خلدت أغنية رولان (Roland) نشاط المرابطين في البحار.

وقد اقترن ظهور الموحدين بتزايد هجرة فلاسفة وعلماء الأندلس أمثال ابن رشد الذي يعتبر أول من تحدث عن العالم الجديد وراء بحر الظلمات على أن صلة العرب عموما والمغاربة خصوصا بالقارة الأمريكية ليست وليدة الكشف فى آخر القرن الخامس عشر الميلادي عما يسمى بالقارة

12) تحدث بذلك الفونسو السابع (راجع دوزى ـ تاريخ الإسلام).

الجديدة بل هي عريقة في التاريخ تمتد جذورها إلى ما قبل الميلاد فقد انتقل الفينيقيون الكنعانيون العرب من الشمال الإفريقي بعد هدم القائد الروماني (سيبيون) لمدينة «قرطاج» عام 146 ق.م. إلى مناطق من المحيط الاطلنطيقي أدى بهم التطواف حولها طوال ثلاث سنوات للوصول إلى أمريكا الجنوبية حيث أسسوا مراكز تجارية تشهد الحفريات بوجودها بعد هذا التاريخ بقليل، ويتجلى ذلك بصورة واضحة من الرخامة التي كشفها الدكتور البرازيلي السيد (الاديزلونيتو)[13] وهي تحمل تاريخ 125 ق.م.

13) ضمنها الجزء الأول من كتابه (الانطروبولوجية راجع أيضا مجلة «تقويم المنصور» للأستاذ توفيق المدني (عدد 1343 هـ) حيث نشر صورة للرخامة وبحثا حول كشف الفينيقيين للبرازيل، وكتابا حول وصول الفينيقيين إلى (كولومبيا) لإبراهيم هاجر صدر بالاسبانية في (بونس - إيريس) بالأرجنتين (مجلة المعرفة عدد 10 دمشق).

وذكر ابن الوردي في جغرافيته أنه يوجد وراء الجزر الخالدات جزائر عظيمة وصفها وصفا ينطبق على وصف بلاد أمريكا. وابن الوردي عاش في القرن الرابع عشر أي قبل كولب بأكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربي - محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ج 2 ص 33) وقد لاحظ أن ابن عربي ذكر أن وراء المحيط الاطلنطيقي اناسا من بني آدم وعمرانا وقد عاش قبل كولب بثلاثة قرون (ص 233). وتحدث صاحب (مسالك الأبصار) نقلا عن شيخه الاصفهاني قبل كولب بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود أرض وراء المحيط وقد توفى الاصفهاني عام 749 هـ - 1348م.

a) – American A.C. by Prof. Batty Tell (1977).
b) – The cam Befor Colombus : Africans in the New Wold by prof. Ivan Van Sertima (1977). Rutgers University prof. Tell – Harvard University
c) – Africa and the Discovery of America (3 volumes) by prof. lea Viner or Welner (1923).
d) – Cauvet, les Berbères en Amérique, Alger 1930.

وهل يرجع إسم (برازيل) إلى إسم القبيلة البربرية المسيلية بني برزل أول البرازلة الذين هاجروا من الجزائر في القرن العاشر الميلادي إلى الأندلس ومنه أيام ملوك الطوائف إلى أمريكا - وذكر توفيق المدني أول من اكتشف أمريكا (أضواء على التاريخ الإسلامي في الجزائر - محاضرة نادي المؤتمر الإسلامي - القاهرة 1959 - المدخل إلى الإسلام للدكتور محمد حميد الله ص 195 ط باريس 1963).

أي بعد احتلال الرومان لقرطاج عقب نزوح الفينيقيين عنها بنحو العشرين سنة وهي مكتوبة باللغة البونية حيث توجد عشرات «الالفاظ والتراكيب مفرغة في قالب عربي مع تحريف لا يخفى حتى على غير الاختصاصيين في فقه اللغة وعلم الاشتقاق[13]، ومعلوم أن اللغة البونية تركزت في المنطقة في اعقاب انتشار الحضارة الفينيقية انطلاقا من مدينة «قرطاج» على طول ساحل الشمال الإفريقي غربي البحر الأبيض المتوسط[14] وقد بدأت البونية تختلف تدريجيا عن الفينيقية الكنعانية تحت تأثير اللهجات المحلية أي البربرية التي تأثرت هي الأخرى بهجرة أهل اليمن من (حمير) في فترات متوالية خاصة بين مصامدة الأطلس الكبير وصنهاجة الأطلس الأوسط وكتامة السهول[15].

وقد بدأت اللغة البونية تتوغل بعمق في ربوع المغرب الأقصى حوالي 480 ق.م. بعدما تسربت فلولها منذ عام 1101 ق.م. وهو تاريخ تأسيس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

14) ففي الفقرة الأولى جملة حررت بالبونية هي : «هنا احنا بني كنعان فرنم حقره حمل «يمكن نقلها إلى عامية الشمال الإفريقي كما يلي : «هنا احنا بني كنعان من فرانم حملنا الحقرة» ومعناها بالفصحي : «هنا نحن بني كنعان من فرانم تحملنا الاحتقار «وما زالت العامية المغربية تستعمل إلى الآن كلمة (حقرة) بمحنى احتقار وكلمة (احنا) بمعنى نحن وكذلك في أقطار عربية أخرى كالعراق.

15) أوصل صديقنا المرحوم العلامة محمد المختار السوسي الألفاظ البربرية العربية الأصل إلى أزيد من خمسة آلاف في دراسة مقارنة ما زالت مخطوطة وهي في معظمها كلمات ظاهرة المصدر العربي الجاهلي تندرج في ضروريات الحياة البدائية وتعتبر من أبرز مقومات اللغة في المجتمعات البشرية الناشئة كان البرابرة يستعملونها منذ أعرق العصور في مخاطباتهم اليومية (راجع كتابنا «تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث» ـ ط. القاهرة 1969 ص 26).

مدينة (ليكسوس الفينيقية)[16] وظلت البونية متغلغلة في البادية المغربية حسب تأكيدات الأسقف الإفريقي (سان ـ أجسطين) إلى عهد الفتح الإسلامي في حين اندرست لغة الرومان باندراس معالم الحضارة اللاتينية التي تطورت في نطاق محدود لم يتجاوز مثلثا تمتد أضلاعه من طنجة إلى وليلي إلى شالة مع سلسلة من المدن الرومانية على طول شاطئ المحيط[17] وقد أعاد التاريخ نفسه فكان (ابن رشد) الطبيب الفيلسوف (المتوفى عام 595 هـ / 1199م) أول من تحدث عن القارة الجديدة في (بلاط الموحدين) بمراكش ومنه انطلقت فكرة وجود أرض يابسة وراء المحيط. وقد اعترف (كريسطوف كولومب) نفسه[18] بأنه لم يشعر بهذا الوجود إلا بعد قراءة

---

16) تقع قرب «العرائش» وهيّ التي بنيت على إنقاضها مدينة (تشمس) الإسلامية (راجع كتابنا «الفن المغربي» باللغتين العربية والفرنسية).

17) انكر ابن خلدون نقلا عن (ابن حزم) عروبة هذه القبائل رغم إجماع نسابة العرب على ذلك مستندا إلى أن مؤرخي مصر لم يشيروا إلى مرور الحميريين من (دلتا) النيل وهي دعوى واهية، لأن المرور كان من الصحراء الجنوبية عن طريق (بحر القلزم) وهو ممر أقرب إلى المغرب وكان مطروقا إلى القرن الثالث الهجري حسب (ابن خرداذبه) ثم القرن العاشر حسب (الحسن بن محمد الوزان) (المعروف بليون الافريقي) الذي رافق إحدى القوافل في هذه الطريق ومظاهر الشبه والوحدة القائمة اليوم بين اليمن والمغرب تشهد بصحة ذلك خاصة في ميدان الموسيقى والرقص والهندسة المعمارية واللهجة وقد وردت على المغرب من (عمان) فرقة فلكلورية لهجتها قريبة جدا من (تشلحيت) وقد نشر المؤرخ الألماني كتابا بعنوان : «البلاد بدون ظل»، Helfrit (Pays sans ombre).
أبرز فيه مجالي هذه الوحدة.

18) عاشت الجالية الرومانية ضمن هذه المدن في قفص مقفل بعيدة عن المجتمع البربري المحيط بها وقد اعترف بهذه الظاهرة مؤرخون غربيون دهشوا أمام هذا التجاوب العميق بين الفينيقيين والمغاربة مما مهد للفتح الإسلامي بانتشار «لغة قريبة من العربية» قبل الميلاد بقرون

كتاب (الكليات) في الطب لابن رشد «في مخطوطته اللاتينية» على أن مجلة «نيوزويك» الامريكية[19] قد أكدت أن العرب انطلقوا قبل عام 1100م (أي عام 494 هـ أي قبل (كريسطوف كولومب) بأربعة قرون من «أنفا» (أي الدار البيضاء الحالية) فرسوا في عدة مواضع على الساحل الامريكي.

وقد حدثنا الشريف الإدريسي في نزهته عن «الفتية المغررين» الذين غامروا انطلاقا من «مرسى آسفي» في ثبج المحيط ووصلوا إلى بعض الجزر النائية كل ذلك انسياقا مع ما أشيع آنذاك خاصة بالأندلس من احتواء غرب «المحيط الاطلنطيكي» على جزر مكثفة تستحيل في نهاية المطاف إلى أرض يابسة شاسعة.

والواقع أن الموحدين الذين انطلقوا من الأطلس الكبير بالمغرب الأقصى لتوحيد المغرب العربي هم الذين واصلوا حمل مشعل الإسلام في البحر المتوسط حيث ظل العرب وحدهم سادته[20] طوال أكثر من قرنين وقد لخص ابن خلدون هذه الظاهرة بقوله : «وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة بهذا البحر (أي الرومي) وضعف شأن الأساطيل في دولة مصر والشام

= وذلك خلافا لما ذكره أبو سالم العياشي في رحلته (ج 1 ص 53) من أنه «لا عربية في المغرب قبل الإسلام اتفاقا» فكلمة «قرطاج» مثلا أصلها (قربة حداش) (صحفت إلى قرتاش بتعطيش الجيم) ومعناها القرية الحديثة بالنسبة لأول مدينة فينيقية أسست في المنطقة وهي عتيقة Utique في نفس العام الذي أسست فيه مدينة «ليكسوس» المغربية وكذلك «حنبعل أصله حن (من الحنين) وبعل أي نعمة أي نعمة الله وكان إسم أبيه هو «هاملكار» أي حامي القرية وهو الذي حارب الرومان في صقلية.

19) أكد ذلك رونان Renan في كتابه : Averroïs et l'Averroïsme Paris, 1923

20) في (عدد أبريل 1960).

إلى أن انقطع ولم يعتنوا بشيء من أمره لهذا العهد بعد أن كان لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك وبقيت بإفريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب العربي من هذا البحر لهذا العهد موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة فكان قواد الأسطول به لعهد لمتونة بني ميمون[21] رؤساء جزيرة قادس ومن أيديهم أخذها عبد المومن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد العدوتين جميعا، ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وكان قائد أسطولهم أحمد الصقلي... إلى أن قال : «وانتهت أساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة إلى مالم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه...» وهنا أشار إلى أن صلاح الدين الأيوبي ملك مصر والشام تتابعت في عهده أساطيل النصارى ضد ثغور الشام لم تقاومهم أساطيل الاسكندرية فأوفد الأيوبي ليعقوب المنصور عبد الكريم ابن منقذ (من بيت بني منقذ ملوك شيزر الخ).

نعم استطاع عبد المومن بقطع بحرية بلغت الأربعمائة[22] تخليص إفريقية من النورمانديين والضرب على أيدي الهلاليين والسلميين بعد أن بنى أعظم قاعدة استراتيجية في المتوسط هي قاعدة جبل طارق في سنة الأخماس (555 هـ / 1160م) وقد رابطت منها في مرسى المعمورة بحلق البحر على

---

21) جوستاف لوبون ـ حضارة العرب ـ الطبعة الفرنسية ص 284.

22) ذكر ابن خلدون في تاريخه (ج 6 ص 161) أحمد بن ميمون قائد أسطول المرابطين عام 416 هـ الذي غزا صقلية وكذلك محمد بن ميمون.

وادي سبو قرب سلا وحدها مائة وعشرون قطعة وقد جعل أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن من هذا الأسطول أعظم أسطول في المتوسط[23].

وقد ازدهرت حضارة جديدة في البحر المتوسط من الأندلس إلى ليبيا إلى الصحراء بزعامة يعقوب المنصور منذ ظفره على الصليبية المتكتلة في وقعة الأرك (591 هـ / 1195م) أي بعد وقعة حطين بنحو عقدين من السنين وشعر البابا اينوسان الثالث (عام 1198 ـ 1217م) بالخطر الداهم فتكاتفت البابوية مع ملك قشتالة الفونس الثامن (1158 ـ 1264م) وأسقف طليطلة رودريك جيمنيز للكر من جديد على الإسلام المتوثب في وقعة العقاب (609 هـ / 1212م) التي كانت هزيمة شنعاء ضعضعت مقومات الامبراطورية الموحدية في الغرب في نفس الوقت الذي بدأ المسيحيون يندحرون في مصر خلال الحرب الصليبية الخامسة (616 هـ / 1219م) حيث طردوا نهائيا من الأماكن المقدسة بعد معركة غزة 642 هـ / 1244م واتجه المرينيون يلمون الشمل معيدين للبلاد وحدتها في حدودها الإفريقية مع الحفاظ على جانب من الأسطول مكنهم من الجواز مرارا إلى الأندلس لإنقاذ الدولة النصرية (دولة بني الأحمر) التي ضيق عليها الخناق الفونس العاشر.

وفي عام 684 هـ / 1285م نزل السلطان يعقوب المنصور المريني في الجزيرة الخضراء بقصره من المدينة الجديدة التي بناها بازائها فبرزت الأساطيل وكان عدد قطعها آنذاك ستا وثلاثين متكاملة في عدتها ـ وهو

23) ابن أبي زرع (القرطاس ج 2 ص 164 / الاستقصا ج 1 ص 158 وج 2 ص 128.

جـالس بمشـور قصره فلعبت بمرأى منـه في البحر وتجـاولت وتنـاطحت وتطاردت كفعلها مع العدو في ساحة الحرب[24].

وظلت سبتـة منطلق الإنقـاذ إذ عنـدمـا حـدث الخلاف بين يعقـوب المنصـور المريني وابن الأحمر عـام 678 هـ / 1279م تجمعت بمرفـأ سبتـة أسـاطيل منهـا خمس وأربعـون قطعـة لأبي حـاتم العـزفي واثنتـا عشرة لابن الأحمر انطلقت من المنكب والمرية ومالقـة وخمس عشرة قـدمت من بـادس وسلا وأنفا التحمت مع أربعمائة قطعة للعدو فملكتها وأسرت قائدها (الملنـد) الذي نقل أسيرا إلى فاس[25] وكان أبو الحسن بن كاشـة قـائـد البحر بسبتـة عام 709 هـ / 1309م أيام استيلاء بني الأحمر على المدينة وعندمـا عـاد أبو الحسن المريني عـام 750 هـ / 1349م من تـونس بعـد مقـام طـال عـامـا ونصف عام وبعد أن عقد لابنه أبي الفضل نزل أسطولـه بمرسى بجـايـة بعـد خمس ليال من اقلاعه من تونس ثم أبحر من جديد فتكسرت أجفانه وقـذف الموج بـالسلطـان على حجر قرب السـاحل من بلاد (زواوة) حيث تـداركـه جفن من بقيـة الأسـاطيـل وكانت الأسـاطيـل (حسب نفـح الطيب) نحـو الستمائة غرقت كلها وهلك من أعلام المغرب نحو أربعمائة عالم منهم (محمـد بن سليمان السطي) شـارح (الحوفي) و(محمـد بن الصبـاغ المكنـاسي) وأبو العبـاس (الزواوي) وقد ذكر الأبي في شرح مسلم عنـد كلامـه على أحـاديث العين أن مصاب هذا الأسطول بنظرة عائن كان معروفا بتلـك الـديـار[26] وكان ابن

24) اندري جوليان ـ تاريخ إفريقيا الشمالية ص 412.
25) (الاستقصا ج 2 ص 30).
26) (الاستقصا ج 2 ص 25).

فرحون زيد هو قائد أسطول بجاية أيام الحفصيين وقد شارك[27] بست عشرة قطعة بحرية في (وقعة طريف) عام 740 هـ / 1339م.

أما الأسطول المريني فقد ورد وصفه في رحلة أبي عنان المريني المسماة (فيض العباب) لإبراهيم بن عبد الله المعروف بابن الحاج مع ذكر أسماء بعض رؤسائه وشاراته وأعلامها وموسيقاهم، أما الأسطول السعدي فلم يكن له دور كبير في الحروب ولكنه استفاد ماديا من هجمات القراصنة على شواطئ الأندلس وكان وجوده يشكل وسيلة ضغط على إسبانيا والبرتغال اللتين كانتا تذكران ما قام به الأسطول في عهود المرابطين والموحدين والمرينيين وكان قد مر قرنان اثنان على انهيار الأسطول المريني في عهد أبي الحسن فكانت المحاولة الجديدة عام 956 هـ / 1549م جديرة بإثارة الانتباه وقد أصبح القراصنة يعيثون في البحار وفي مراسي المغرب فرابط القرصان من أتراك الجزائر في العرائش حيث امتدت أوكار قرصانية في موانيء أخرى كتطوان وبادس بل ان القرن الخامس عشر شهد استيلاء البرتغاليين على معظم المراسي في مصبات الأنهار المغربية الأمر الذي حال دون قيام أسطول مغربي وقد بدأ ذلك باحتلال سبتة عام 818 هـ / 1415م فلهذا حاول محمد الشيخ السعدي تكوين أسطول بحري بالإضافة إلى وحدات كانت في ملك رؤساء تطوان وبادس فقام ورش بحري في بادس بالريف قرب غابات البلوط والأرز والصنوبر وورش آخر في سلا وقد بنيت أربعة مراكب في بادس وأربعة أخرى في سلا عام 956 هـ / 1549م بالإضافة إلى مركبين مجدافيين أو شراعيين وثلاثة مراكب مجدافية وطلب محمد الشيخ من أبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

27) (الاستقصا ج 2 ص 84).

حسون الوطاسي أمير بادس التعاون معه على صنع مائة مركب ومائة أخرى مسطحة لنقل الجند ولكن أبا حسون لم يكن يثق بالسلطان السعدي ففر إلى مليلية في نفس السنة ولعل السعديين كانوا يستهدفون من أسطولهم تحرير الجيوب البرتغالية الثلاثة التي كانت تقاوم خلال الحصار نظرا لما يتوارد عليها من إمدادات من جهة البحر ولكن الحرب التي نشبت بين المغرب والجزائر عام 959 هـ / 1551م وتهديد الأتراك للمغرب حال دون استمرار السعديين في تعزيز أسطولهم فاضطروا إلى مساعدة الإسبان ضد الأتراك.

ففي عهد عبد الله الغالب بالله كان الأسطول الحربي يتوفر على نحو ثلاثين مركبا بلغت الأربعين عند بداية ثورة الأندلسيين في جبال غرناطة عام 976 هـ / 1568م ومهما يكن فإن الأسطول احتفظ بهذا العدد من القطع عام 985 هـ / 1577م في عهد المولى عبد المالك ولم يكن أسطول (دايات) الجزائر أكثر عددا ولكنه كان أجود نظرا لتقلص التقاليد البحرية بالمغرب خلال قرنين ومع ذلك فالمهم هو شعور الملوك السعديين بأن تعزيز وضعهم في إفريقيا والبحر المتوسط لا يمكن أن يتم بدون أسطول إذ بفضل هذا الأسطول اضطر البرتغاليون إلى الجلاء عام 957 هـ / 1550م عن مراكز قوية في الساحل المغربي مثل أصيلا والقصر الصغير ويظهر أن المنصور السعدي استعان عن سياسة التوسع عبر المتوسط وخلال الأندلس بالتوسع جنوبا نحو الصحراء والسودان لهذا لم يعد للأسطول وجود بالمغرب في القرن السابع عشر الميلادي إذا استثينا أسطول القراصنة بجمهورية سلا والرباط في الفترة المتراوحة بين 1040 هـ / 1630م و1050 هـ / 1640م

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حيث بلغت وحداته الحربية نحو الثلاثين امتد نشاطها القرصني إلى «تيرنوف» وإيرلندا والجزر الخالدات[28].

ولم يكن لأحمد المنصور في سلا عدا ثمانية مراكب لمحاربة الإسبان[29] وقد أشار صاحب «تاريخ الدولة السعدية» إلى الأسطول السعدي في العرائش وسلا وحاول مولاى زيدان بعد معاهدة 1610م / 1019 هـ بين المغرب وهولندا تكوين أسطول يجلب ربابينه من هولندا وقد صنعت بالفعل قطع أولى لهذا الأسطول هي ثلاث سفن وقيل خمس[30] كما وصل إلى آسفي أربعة مراكب[31] وقد هاجم الإسبان هذا الأسطول فاغرقوا باخرتين في سلا[32] نعم في عام 1019 هـ / 1610م توجه القائد أحمد بن عبد الله إلى (روتردام) وطلب تزويد السلطان بعدة سفن حربية فوافق المجلس على ذلك وقرر إنشاء ثلاثة أو أربعة مراكب من حمولة مائتي طن مع تجهيزها بالملاحين والمدافع وعين لها قائد أعلى هو Martin Van Rysbergen مع إمكان تزويد المغرب بالربابين والسفن والعتاد وقد امضيت في 24 دجنبر 1610م 1019 هـ ضمنت عدم تصادم مراكب البلدين في البحر وعدم بيع نهب القراصنة ضد السفن الهولندية في أسواق المغرب، ويظهر أنه بعد أن طلب السلطان مولاى زيدان من هولندا أن تصنع له أربع سفن عاد فطلب منها عام 1621م / 1031 هـ بناء فرقاطتين أي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

28) (الاستقصا ج 2 ص 66).

29) هسبريس ـ تمودة م 8 (1972).

30) دوكاستر 5 ق 1 إنجلترا م 1 ص 504).

31) (درة الحجال ج 1 ص 313).

32) دوكاستر ـ س. أ. هولندا م 2 عام 1612 / فرنسا م 2 عام 1611.

حراقتين[33] وقد وجهتا إلى المغرب بخفارة بارجة حربية عام 1922م ولكنهما وصلتا إلى مياه إنجلترا وعادتا لعدم استطاعتهما مواجهة أمواج عرض المحيط أما بخصوص المراكب الأخرى في المتوسط فقد نقل محمد داود في تاريخ تطوان[34] عن رحلة محمد بن علي الرافعي إلى الحجاز أن المؤلف نزل بجزيرة (رودس) التركية في مركب الرئيس محمد عروج فوجد في الجزيرة ثلاثين سفينة منها واحدة فيها خمس طبقات و75 مدفعا من النحاس وان تلك السفن صنعها السلطان محمد خان بالقسطنطينية.

وكانت الأساطيل القرصنية محط رعاية المولى الرشيد بمصب أبي رقراق لأنها كانت تشكل حاجزا دفاعيا ضد المغير الأوربي الذي بدأ يتعلل آنذاك بأبسط الأسباب للتدخل في المغرب وكان هذا الأسطول يقض مضاجع الغربيين الذين انبثوا على الساحل فالإنجليز في طنجة والبرتغاليون في البريجة (الجديدة) والإسبان في المعمورة (مهدية) وأصيلا والعرائش بينما طفق الفرنسيون يخرون بسفنهم الحربية على طول المراسي المغربية بين الريف ومصب الملوية عباب البحر الأبيض المتوسط حيث حصن المولى الرشيد مرسى الحسيمة أو المزمة وحجرة نكور وصارع الإنجليز الذين كانوا يعملون وراء الخضر غيلان.

وأول من وضع الأسس لبناء أسطول وطني قوي هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان للمغرب في عهده (حسب الناصري) خمسون سفينة منها ثلاثون حراقة (أو فرقاطة) بقيادة ستين رئيسا أو ضابطا يشرفون على خمسة آلاف بحار وألفين من الرماة إلا أن الرحالة (هوست)

---

33) (م 2 ص 534 ـ فرنسا).

34) (دوكاستر ـ س. أ. السعديون ج 3 ص 188) و371.

أوصل عدد هذه المراكب إلى اثني عشر فقط وقد انحدرت عام 1180 هـ / 1766م إلى عشرة حسب شيني Chénier[35] ويظهر أن الأسطول العلوي ارتفع بعد بضع سنوات أي 1185 هـ / 1771م إلى عشرين قطعة وهكذا شرع السلطان سيدي محمد بن عبد الله منذ بداية عهده في صنع مراكب في (دار الصناعة) بأبي رقراق جهز كل واحد منها ببطاريات يبلغ عدد مدافعها ما بين 26 و36 على أن بعض المراكب مثل الحراقة التي كانت تحت امرة الرايس الطرابلسي بلغ عدد مدافعها خمسة وأربعين وكانت بتطوان أيضا دور لصناعة السفن في العهد العلوي وقد وجه السلطان سيدي محمد ابن عبد الله إلى كل من (السويد) و(إنجلترا) شبانا من مدينة الرباط للتدريب على بناء السفن والمراكب[36] كما وجه ستمائة رجل من (آية عطا) بالصحراء وأربعمائة من تافلالت إلى طنجة للتمرن على المناورات البحرية[37].

والواقع أن السلطان محمد بن عبد الله ركز مقومات الحضارة وواصل تحرير الثغور وكون أسطولا قوامه خمسون سفينة معظمها حراقات حربية تحتوي على ستين قائدا «وأربعين ألف» بحار ووطد العلاقة مع الدول الإسلامية والدول الأوربية على السواء وأمضى معاهدات مع الولايات المتحدة التي كان أول من اعترف بها ومع أمم بروتستانتية كالدول الاسكندنافية تحقيقا للتوازن مع الدول اللاتينية الاستعمارية ومدافعة

---

35) ج 1 ص 392 ط تطوان 1379 (راجع حق تملك حطام السفن في العهد السعدي في (دوكاستر ـ السعديون ـ السلسلة الأولى م 1 ص 186).

36) مذكرة القنصلية الفرنسية العامة (الدار البيضاء عام 1943 ص 103).

37) ؟؟؟؟؟؟؟

للبابوية الناقمة وكانت أوربا في غمرة من الاضطرابات زادها تأججا انبثاق الاستعمار الناشئ والتسابق نحو غزو الشرق الأقصى وتعزيز الصناعة الأوربية بمواده الأولية بينما كانت الامبراطورية العثمانية تسير في طريق الأفول تحت ضربات الاحلاف الأوربية ـ وخاصة منها الحلف المقدس عام 1815 ـ التي أدت إلى تجريد ملك المغرب سليمان بن محمد بن عبد الله (1206 هـ ـ 1238 هـ) ـ (1790 ـ 1820) من أسطوله بدعوى مساندته للقراصنة وحاول نابليون آنذاك الضغط على المغرب للانضمام إلى كتلة الحصار القاري[38] وشعر العرش المغربي بالدور الذي بدأت فرنسا تقوم به لاحتلال الشمال الإفريقي.

وفي نفس الفترة كانت بعثة من الخبراء الأتراك تقوم بتكوين رماة في الجيش المغربي وفي عام 1204 هـ / 1789م أواخر أيام السلطان سيدي محمد ابن عبد الله كانت البحرية المغربية تتكون من 6 إلى 8 فركاطات تحتوي على مائتي فجوة للمدافع بالإضافة إلى 14 أو 18 مدفعا و12 غليونة وهي مراكب شراعية صغيرة وفي أول عهد مولاي سليمان عام 1208 هـ / 1793م بلغت عشر فراكيط وأربع قلعية شراعية وأربعة عشر غليونة وتسعة عشر مركبا مدفعيا مجهزة بستة آلاف بحار ممتاز وفي عام 1299 هـ / 1820م ثلاث قلعيات وأربعين مدفعا وثلاثة عشر مركبا مدفعيا[39] وكانت البحرية الملكية تتوفر عام 1793م / 1208 هـ عند اعتلاء المولى سليمان أريكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

38) تاريخ الرباط Caillé ص 132.

39) Bloc Continentel هي الحركة التي هدف بها الامبراطور الفرنسي عام 1806م إلى إقفال جميع الموانئ في وجه إنجلترا لتضييق الخناق عليها اقتصاديا.

العرش عشر على حراقات (أو فرقاطات) وأربع قلعيات (أي سفن شراعية ذات قلوع) وأربعة عشر غليونا (مثل التي كان الهولنديون يستعملونها للصيد) وتسعة عشرة من زوارق الإنقاذ المجهزة بالمدافع كل ذلك بتعزيز من ستة آلاف بحار من الملاحين ذوي الشهرة[40] وقد اعترض الأسطول المغربي عام 1217 هـ / 1803م الأسطول الأمريكي المحاصر لطرابلس ففك هذا الحصار ثم بدد أسطولنا عمارة ثانية[41] وكانت مدة اجتياز البواخر لعرض البحر الفاصل بين فرنسا والمغرب يتطلب فترة طويلة فقد قطعت السفينة الفرنسية التي حملت سفير فرنسا لدى المولى إسماعيل سانت ـ أولون في مايه 1693 ثمانية وعشرين يوما بين فرنسا وفرضة تطوان[42] وكانت السفن تدعى أحيانا باسم خاص مثل (غراب دار الصنعة) الذي تحدث عنه خالد البلوي في رحلته (تاج المفرق) حيث ركب فيه من المرية إلى الحج عام 735 هـ / 1334م فنقله من المرية إلى هنين[43] وقد تطور على نفس النسق الأسطول الرحماني (1243 هـ / 1827م) بين المد والجزر إلى عام 1322 هـ / 1904 أي قبيل الحماية حيث كانت للمغرب سفن حربية منها «الحسنى» و«سيدي التركي» و«التريكي» و«البشير»[44] ويتعزز اليوم هذا الأسطول الملكي بصورة سيصبح معها قديرا على مواجهة مختلف تيارات التجارة البحرية وذلك بسفن ضخمة تمخر عباب البحار والمحيطات لنقل

---

40) (وصف وتاريخ المغرب ـ كودارج 1 ص 156).

41) نفس المصدر ص 156.

42) (محمد بن علي الدكالي ـ جريدة المغرب رقم 346).

43) وثائق دوكاستر ـ س. 2. الفلاليون ـ فرنسا م 4 ص 1 (1693 ـ 1698).

44) مرسى هنين مركز في ساحل تلمسان توجد فيه بلده (تاجرة) التي ينتمي إليها عبد المومن بن علي (معجم البلدان ج 8 ص 484) أنشأ جامعها أبو الحسن المريني.

البضائع المغربية إلى جميع أنحاء العالم لا سيما وأن 98 ٪ من المبادلات الخارجية تتم بالطرق البحرية.

المغاربة ومهنة الملاحة :

إن المغاربة لم يكونوا «بحريين» فهم لم يكونوا يهتمون كثيرا قبل اليوم بفن (الملاحة البحرية) حتى في المراسي نفسها ومعظم القراصنة ـ حتى الذين يوصفون بأنهم سلاويون إنما هم أعلاج أجانب أما سكان العدوتين فالقليل منهم هم الذين تعاطوا هذه المهنة التي اتسع نطاقها نوعا ما بعد توارد الأندلسيين خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين على مصب أبي رقراق وكان لهذه الملاحة نظامها وقوانينها التي كانت تحاول أن تكفل حرية البحار ذلك أن حماية الأشخاص وأمتعة التجار مهما تكن جنسياتهم كانت في نظر المغاربة شيئا طبيعيا وضروريا للتجارة إلى حد أنها كانت تخول لجميع الأجانب «حتى ولو كانت المعاهدات تسمح للحكومة العربية بإنكارها» ذلك ما أكده (لاطرى) الذي أبرز أن روح العطف والحسنى والنزاهة التي أذكت الحكومة العربية إزاء التجار الأجانب قد تجلت في التشريعات المتعلقة بالتهريب وكذلك في التدابير المنصوص عليها في المعاهدات فحتى لو لوحظ انتهاك القانون فإن الجمارك تتقاضى رسومها كما لو أن السلع قدمت بصورة عادية إلى الديوانة ولكن العقوبة تكون آنذاك أدبية[45] معناها أن التاجر الذي يدخل سلعة خفية ويكشف عمله «يفقد سمعته وشرفه فلا يحظى بعد ذلك بثقة العرب» ولم تكن هنالك مدرسة لتخريج الربابين بمعنى الكلمة

45) الاستقصا ج 4 ص 183).

اللهم إلا المدارس التطبيقية وهي (دور الصناعة) التي أسست منذ عهد المرينيين أهمها (دار الصناعة) بباب المريسة بسلا ودار الصناعة بتطوان والورش الذي أسسه العلويون قبالة جامع حسان بالرباط ولعل أول مدرسة حملت هذا الاسم هي (متحف الاودايا) الذي كان يتخرج فيه ربابنة البحر وقد عرفت هذه المدرسة منذ عام 1309 هـ / 1891م[46] وكان لكل مركب أو سفينة ربانها أو رئيسها (ويسمى الريس أو الرايس) وكان لبعض المواني قائد يشرف على البحرية في نطاق عمالته كما كان الحال بتطوان حيث أشرف على البحرية بها القائد أحمد لوقاش المعروف عند الإسبان[47] وقد ولى الخليفة الناصر الموحدي السيد عبد الله بن طاع الله على قيادة البحر بعد أن كان قد عينه قبل واليا على جزيرة ميورقة ومن هؤلاء الرؤساء والربابين : العربي حكم الرباطي رئيس البحر أيام سيدي محمد بن عبد الله[48] وكذلك العربي المستاري والرايس عواد السلوي وقنديل (ص 177) وهو غير قنديل محمد السلوي رئيس المركب الذي كان في ملك المولى إسماعيل وقد أسر في فرنسا وافتدي عام 1688م / 1100 هـ[49] والكوار الرباطي رئيس البحر في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله[50].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

46) كما لاحظ (بيركولوطي) (الفصل 27 ص 123).

47) Routh. Tangier p. 221

(مجلة هسبريس ـ تمودة م 9 ص 344 (1968)).

48) (تاريخ الضعيف ص 177 خ).

49) (دوكاستر ق 2 العلويون (م 4 ص 340 ـ 344) (وق 2 ـ فرنسا م 3 ص 172)).

50) · (تاريخ الضعيف ص 177).

الأسطول الفاطمي المغربي :

قسم المقريزي السفن المصرية إلى حربية وهي سفن الأسطول للغزو والنيلية وهي سفن تجارية لحمل الغلال والأحطاب وغيرها في النيل إلى أعلى الصعيد أو أسفل الأرض وذلك بالإضافة إلى نوع ثالث للملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندي للتجارة أو نقل الحجاج إلى جدة :

وأهم القطع :

1 ـ **الشواني الحربية** (جمع شيني أو شينية أو شونة) تعرف بالاغربة أو الغربان تطلى بالقار مع قلوع بيضاء.

وهي مركب طويل له مائة وأربعون مجذافا مزود بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم وقد وصفها ابن حمديس الصقلي مخاطبا الحسن بن علي من أمراء بني زيري في المغرب الأدنى :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنشأت شواني طائرة وبنيت على ماء مدنا
ببروج قتال تحسبها في شم شواهقها قننا

2 ـ **الحراريق** (جمع حراقة) : لاحراق سفن العدو بالنفط تلى الشواني في الأهمية وأصلها للأغالبة لها نحو مائة مجذاف.

3 ـ **الحرابي أو الحربيات** (جمع حربية) : نوع من الشواني أصغر حجما منها وكانت من أهم قطع الأسطول الأندلسي الأموي : يقول فيها ابن حمديس.

وحربية ترمى بمحرق نفطها فيغشى سعوط الموت فيها المعاطسا

4 ـ **الطرائد** (جمع طريدة : سفن مخصصة لحمل الخيل تسع أربعين فرسا تفتح عادة من الخلف وكذلك لحمل المقاتلة والمؤن والسلاح وانتقال الناس.

5 ـ **الشلنديات** (جمع شلندي خففت إلى صندل) : سفن كبيرة الحجم لنقل المؤن والسلع وهي مسطحة من أعلى لتمكين الغزاة من مقاتلة أعدائهم من ظهرها بينما يجذف الجذافون تحتهم وهي تشبه المسطحات ولعلها كانت تسمى في الأندلس بالأجفان الغزوية أو الغزوانية (ابن عذاري ج 4 ص 383 / الحلل الموشية ـ طبعة تونس 1329 هـ ص 99) ويقترن اسم الصنادل مع الشواني والمسطحات في مصر الفاطمية.

6 ـ **المسطحات** : تحمل أسلحة الأسطول وهي المراكب الحمالة بالأندلس (نزهة المشتاق للادريسي ص 179).

7 ـ **البطس** (جمع بطسة) مراكب كبيرة ذات عدة طوابق لها أحيانا أربعون قلعا تستخدم لنقل الأزواد والميرة وجموع كبيرة من المحاربين قد يصلون إلى سبعمائة (النوادر السلطانية لابن شداد ـ القاهرة 1964 ص 49).

8 ـ **المركب الغيطاني والمركب العجزي** : يحملان عددا كبيرا من الركاب وأموال طائلة (نظم الجمان لابن القطان ـ تحقيق د. محمود مكي ص 233).

9 ـ **الأعزاري** : مركب صغير أيوبي وفاطمي لحمل الأزواد.

10 ـ **المركوش** : مركب صغير لنقل مياه الشرب (سعته مائة أردب).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما المراكب التجارية فمنها الشواني (لحمل الغلال وفيها أهراء ومخازن وصهاريج لمياه الشرب) والمراكب السفرية لنقل الركاب من بلد إلى بلد والسفن النيلية أهمها العشاريات كانت تعرف في العصر المملوكي بالحراقات لنقل الغلال السلطانية أو لنزه الخلفاء وكبار القوم وكان عددها خمسين وفيها أنواع لطاف يقال لها السماويات لأنها مكشوفة للسماء أما النوع الثالث من السفن فهي المتنقلة في البحر كانت تسمى الجلاب أو الجلبات (جمع جلبة) لم يكن يستعمل فيها مسمار ـ حسب ابن جبير ـ لأنها مخيطة بأمراس القنبار وهو قشر جوز النارجيل وكثيرا ما كان يصحب البحريين أطباء وقراء ومؤذنون لخدمة الغزاة في البحر.

ملاحة الخليج وأسطوله :

كانت السفن تدخل الخليج العربي قبل فتح قناة السويس محملة بالبضائع من الشرق الأقصى خاصة للتوابل لتنقل براعن طريق العراق فسورية فموانئ البحر المتوسط إلى أسواق أوربا وازدادت أهمية الخليج العربي البحرية والتجارية في مطلع الحركة الاستعمارية التي استهدفت التوسع شرقا لتأمين الاتصال البحري مع الهند ويمتاز الخليج بأقل نسبة من الأخطار الطبيعية التي تجابه الراكب في البحار الأخرى نظرا لقلة الأمواج العالية (لا يتجاوز عمق المياه على أكبر تقدير الأربعين مترا) وقصر الشتاء وقلة الرياح الموسمية واعتدال الرياح العادية مما أدى إلى قيام مرافئ عديدة على شطان الخليج[51] تساعدها البوصلة في حالة اشتداد الرياح.

51) الملاحة في الخليج العربي لعيسى أحمد النشمي الكويت.

أما السفن والمراكب فكانت تتجه من الكويت إلى اليابان وتخوم افريقيا غربا إلا أن دور الصناعة بالخليج كانت تستعمل الخشب وحده دون حديد ثم ضخم حجم هذه المراكب مع الأيام وهذه السفن أنواع :

1 ـ البوم : للشحن والأسفار البعيدة طوله يصل إلى 150 قدما وعرضه 30 قدما وحمولته ما بين 300 و750 طنا ويستعمل في مجموع الخليج.

2 ـ البغلة : يستعمل لنفس الغرض ويفضله أهل صور جنوبي مسقط وحمولته أقل إذ لا يتعدى 400 طن.

3 ـ الشوعى : مركب للغوص حمولته ما بين 50 و75 طنا وطوله يصل إلى 75 قدما وعرضه 20 قدما.

4 ـ السنبوك : نوعان يماني للشحن والأسفار البعيدة وآخر صغير للغوص وهو أصغر وحمولة الأول تصل إلى 200 طن وطوله 150 قدما.

5 ـ الجالبوت : للشحن والأسفار المتوسطة المدى وهو مفضل للساحل الإفريقي الشرقي حمولته تصل إلى 70 طنا وطوله إلى مائة قدم.

6 ـ الكوتية : نسبه البوم والبغلة يفضله أهل الهند تصل حمولته إلى 400 طن وطوله إلى 150 ق.

7 ـ البتيل : مركب قليل الاستعمال خاصة للغوص في بعض مناطق الخليج قريب الشبه من الشوعى.

الأسلحة البحرية :

اللتوت والدبابيس والمستوفيات : هي عمد من حديد مستطيلة مضرسة في حين أن الدبابيس مدورة والمستوفيات مربعة يبلغ عمودها ذراعين مع مقبض مستدير.

السيوف والرماح والفووس : وهذه الأخيرة لها رأس نصف مستدير حاد النصل وتسمى الفأس أحيانا بلطة أو طبر.

الأقواس والنشاب : منها قسي لرمي قوارير النفط الكلاليب والباسليقات : خطاطيف حديدية للرمي على مراكب العدو لجذبها وشدها والعبور إليها عن طريق ألواح خشبية أو سلاليم من الجبال لمقاتلة ملاحيها أما الباسليقات فهي سلاسل تنتهي عند رؤوسها برمانة من حديد تستخدم في القتال على سطح السفن.

ARCHIVE

التوابيت : صناديق مفتحة من أعلاها تنصب بأعلى الصواري يصعد إليها البحريون ومعهم قطع من الحجارة يضعونها في مخلاة تعلق إلى جانب التابوت ويرمون بها الأعداء ثم يحتمون في التوابيت وقد يرمون قوارير النفط أو جرار النورة فتعمى الرجال بغبارها.

والنفط البحري كان يجهز من قطران وكبريت ومواد شديدة الالتهاب ولا تنطفئ نيرانها بملامسة الماء ويطلق النفط من آلة نحاسية أو حديدية تسمى النفاطة ويستعمل المنجنيق أحيانا للرمي.

المجانيق والعرادات : آلاف لقذف أحجار ضخمة مضرية تقذف بواسطة الشد على لوالب وقد يرمى بها للنفط أو اجرار الزيت المغلى.

والعرادة آلة تشبه المنجنيق وهي دونه في الحجم تستخدم لنفس الغرض.

وقد ذكر النويري[52] أن مجاهدا مغربيا عرض على الأمير سيف الدين الاكز (767 ـ 768 هـ) بمصر سلاحا جديدا عبارة عن قدور كفيات صغيرة من الفخار ضيقة الأفمام مملوءة جيرا ناعما مطفيا بالبول في مسدودة الفم الضيق بمشاقة كالقنابل اليدوية اليوم تعمى الأبصار.

أما دور الصناعة فقد أسس المعز الفاطمي وابنه العزيز دار صناعة بالمقس وكان بها عام 386 هـ ستمائة مركب وكان بمصر أربع دور أخرى إحداها بالاسكندرية أقيمت منذ الفتح الإسلامي وكان على رأسها إبراهيم التازي المغربي والثانية بدمياط والثالثة بجزيرة مصر المعروفة بالروضة وهي أول دار صناعة أسست بفسطاط مصر عام 54 هـ والرابعة دار صناعة مصر أقامها محمد الاخشيد عام 325 هـ وكان الخشب الضروري لبناء السفن يجمع في (حواصل البضاعة) في القاهرة تشتمل على الأخشاب والحديد وآلات الأساطيل من القنب والكتان والمنجنيقات (صبح الأعشى ج 3 ص 475).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أسس الفاطميون ديوان الجهاد أو العمائر لتيسير الاتصال البحري بين سواحل مصر والشام من جهة والمغرب وصقلية من جهة ثانية وكان مقره دار صناعة الإنشاء بمصر[53] ويختص بإنشاء مراكب الأسطول وحمل الغلال السلطانية والأحطاب وغيرها والنفقة على رؤساء المراكب ورجالها.

---

52) في كتاب الالمام نقل صاحب (تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام) أحمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم ـ 1972 ص 323.

53) صبح الأعشى ج 3 ص 492.

مصادر في البحر والبحرية في المغرب :

كناش في أمور البحر وهو تقييد ما دخل في يد عبد الهادي العسري من حبة الفشينية ابتداء من عام 1183 هـ / 1769م يشتمل على قائمة بحارة الرباط وسلا وأجورهم وموارد مراسي المغرب المودعة في بيت المال بباب القصبة بالرباط من عام 1183 إلى 1227 هـ (160 ورقة) خع = 1409 د (الأصل بالمكتبة الناصرية بسلا).

- (لواقح الأسرار في حديث البحر والأسفار في توضيح الرسالة الفتحية في صنعة الرياس) لعبد الله ميكاني الرباطي (عاش في عهد السلطان مولاي سليمان (مخطوط في مكتبة الأستاذ عبد الله الجراري).

- «زينة النحر بعلوم البحر» لإبراهيم التادلي الرباطي تحدث فيها عن سير سفن الشراع والبواخر (خع 1747 د).

- البحرية والطبجية في الرباط (تاريخ الضعيف) (ص 470 - 475).

- عجائب البحر لابن عفيون محمد بن أبي بكر الغافقي الشاطبي (584 هـ / 1189م).

- تأليف في الملاحة البحرية (خم 7817).

- (تاريخ الأسطول) العربي محمد ياسين الحموي دمشق - مطبعة الترقي 1945 (147 ص).

- تاريخ تطوان لمحمد داود ج 4 ص 226 / مقدمة ابن خلدون ج 1 ص 416.

- مظاهر يقظة المغرب الحديث (محمد المنوني ج 1 ص 63).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- أسطول الأندلس (إسبانيا المسلمة - ليفي بروفنصال ص 153 و248.
- مجلة تطوان 1957 عدد 2.
- ارشيا لدلويس (القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط).

تعريب أحمد محمد عيسى - القاهرة 1960.

- (البحر في التقاليد والصناعة الوطنية) في الرباط وسلا.
- ملاحظات قاموسية عن قاموس الرباط - سلا البحري.
- المغرب وخطوط الملاحة البخارية الأولى.
- القوانين البحرية في المغرب 1900.

كشف عن أمراء وقواد البحر في الأساطيل العربية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نواتية الأسطول كانوا يعرفون في مصر بالبحريين أو الأسطولية موضع احترام الناس يقال لهم المجاهدون في سبيل الله وكان معظمهم مغاربة لما عرف به المغاربة من مهارة في قيادة السفن والملاحة في البحر منذ عصر مبكر واستمر ذلك في العصر الأيوبي حيث اشتركوا في مهاجمة مراكب الصليبيين عند عيذاب وكان المماليك يعتبرونهم فرسان البحر وقد رأس دار الصناعة بالاسكندرية إبراهيم التازي الذي عرف ببطولته في محاربة الصليبيين وذكر النويري معلقا على بطولته بأن الفرنجة لا يقهرهم سوى المغاربة لمخالطتهم لهم بجزيرة الأندلس وقد ذكر ابن سعيد المغربي أن الأساطيل كانت وقفا على المغاربة لمعرفتهم بمعاناة الحرب والبحر (المقرى - نفح الطيب ج 3 ص 111) وكان البحريون منذ العصر الفاطمي بمصر يشتغلون بالتجديف أو نشر القلوع أو توجيه الدفة أو مراقبة البحر.

بالإضافة إلى مقاتلة بالانفاط (وهم قاذفو اللهب أو زراقوا النار) وبالعرادات والمجانيق ورمي السهام والكلم بالكلاليب والرجم بالرجام والسلب بالأساليب، (العماد صفهاني ص 160).

وقد كان للأسطول في مصر مقدم ونائبان كانا يتوليان خدمة ما يجرى في الأساطيل.

وقد كان للأسطول الفاطمي خمسة آلاف بحار أو نوتي يتقدمهم عشرة أعيان يقال لهم قواد يختار من بينهم قائد يسمى رئيس الأسطول يقلع بالغزاة وبصحبته مقدم الأسطول وفانوس تهتدي به المراكب الأخرى وكان مقدم الأسطول أو زمام الأسطول يختار من بين أعيان أمراء الدولة وكان عشرون نقيبا يقومون باستدعاء الغزاة من دورهم.

وفي المغرب والأندلس كان على رأس الأسطول قواد أو أمراء البحر (أميرالات) وعلى كل سفينة قائد ورئيس يهتم الأول بتجهيز السفينة وجندها والثاني يشرف على حركة سيرها ونذكر فيما يلي جملة من هؤلاء القواد :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن جامع أمره على بن خلاص صاحب سبتة على أسطوله خلفا لغانم ابن محمد بن مردنيش (ابن عذاري ج 3 ص 117 / المن بالامامة ص 516 / الاستقصا ج 2 ص 137.

- ابن كاشة أبو الحسن قائد البحر في سبتة عام 709 هـ / 1309م أيام استيلاء بني الأحمر على المدينة.
- ابن ماجد أسد البحر الهائج ربان ماهر من رأس الخيمة بالخليج العربي كان للدراسات الميدانية التي قام بها أثر فعال في توجيه الرحلات البحرية التي قام به أوربيون عبر المحيطات ومنهم ماجلان البرتغالي فاسكو دوكاما الذي اكتشف طريق الهند عام 1497م تلاه ماجلان.

الذي يقال عنه إنه (اكتشف عام 1520م) 927 هـ مضيق ماجالان بين جنوب أمريكا وأرض النار.

- أبو إسحاق البطروجي نور الدين الاشبيلي تلميذ ابن طفيل.
(الاستقصا ج 2 ص 124).

- أبو العباس الرنداحي قائد أسطول سبتة أعان أبا القاسم العزفي على تملك هذه المدينة عام 647 هـ / 1249م.
(البيان لابن عذاري ج 3 ص 400 طبعة الرباط).

- أبو عبد الله ابن عبد السلام الكومي قائد أسطول سبتة.
(البيان لابن عذاري ج 4 ص 203).

- أبو العلاء الكبير قائد (أساطيل البرين) في عهد الناصر الموحدي وكانت تحتوي على أجفان العدوة والأندلس (البيان لابن عذاري ج 3 ص 234 طبعة الرباط).

- أبو القاسم بن عبيد الله المهدي الفاطمي قائد أسطول من خمس عشرة سفينة حربية وجهت (عام 300 هـ / 912م) إلى طرابلس فاحرقت سفنه من طرف مراكب أهل المدينة التي أخضعها أبو القاسم.

- أحمد بن عمر المعروف برقم الأوزولي جملة من الأسطول المرابطي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (الإدريسي في النزهة).
أحمد بلقاسم (راجع الرايس).

- أحمد بن ميمون قائد أسطول يوسف بن تاشفين في جوازه الأول إلى الأندلس عام 1086م (الإعلام للمراكشي ج 3 ص 236).

- أحمد بن يعلى قائد أسطول الخليفة الأندلسي أرسله عام 347 هـ لغزو سواحل إفريقية (ابن عذاري ـ البيان ج 2 ص 332 ط. بيروت).

- أحمد الصقلي : أسرة النصارى واستخلصه صاحب صقلية ثم لحق بتونس وأجاز إلى مراكش فاجزل الخليفة يوسف بن عبد المومن صلته وقلده أمر أساطيله.
(ابن خلدون ـ التاريخ ـ م 1 ق 2 ص 457).
وكان أبو العباس الصقلي أيضا رئيس أسطول اشبيلية (ابن عذاري ج 3 ص 117).
- أحمد لوقاش (Loukach) قائد البحرية بتطوان مع اشرافه على عمالتها في آن واحد وكان ذلك جاريا به العمل في عدة موانئ منذ العهد الموحدي.
(هسبريس ـ تمودة) م 9 ص 344 (عام 1968).
- أسد بن الفرات قائد البحر في عهد الأمير زيادة الله بن الأغلب فتح عام 212 هـ ميناء مازر من جزيرة صقلية.
- بسر بن أبي ارطأة قائد الحملة البحرية الاستطلاعية على القسطنطينية عام 43 هـ و44 هـ.
- جنادة بن أبي أمية قائد الأسطول الإسلامي عام 54 هـ معززا القوة البحرية المرابطة في مياه القسطنطينية وقد استولى على جزيرة أرواد القريبة من القسطنطينية (الطبري ج 6 ص 164 / ابن الأثير ج 3 ص 497).
- حسين بن يعقوب الكتامي متولي البحر في المهدية وهو أبو علي منصور العزيزي الجوذري (سيرة الأستاذ جؤذر ـ تحقيق د. محمد كامل حسين ود. محمد عبد الهادي شعيرة ـ القاهرة عام 1954 ص 87).

وكان هنالك أيضا في العهد الفاطمي متول بخزائن البحر يسهر على توفير مواد صناعة السفن كالأخشاب لصنع الصواري وألواح السفن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمجاذيف والسلالم والمسامير والروابط والمراسي والخطاطيف أو الكلاليب والعرادات والسلاسل والألياف (لصنع الحبال) والقطران للقلفطة والنفط لقاذفات اللهب.

- حميد بن معيوف ولاه هارون الرشيد العباسي سواحل بحر الشام ومصر عام 190 هـ فغزا كلا من جزيرة قبرص وجزيرة اقريطش.
- داود بن عائشة قائد أسطول يوسف بن تاشفين في جوازه الأول إلى الأندلس عام 1086م (البيان لابن عذاري ج 2 ص 237).
- دميانة البحري أمير البحر وقائد سفن عباسية كانت راسية بثغر طرسوس في العهد الطولوني عددها 18 مركبا حربيا مشحونة بالرجال والعتاد. (النجوم الزاهرة ج 3 ص 109 / 136).
- الرايس إبراهيم التازي رئيس دار الصناعة بالاسكندرية كان قائدا بحريا لدى السلطان شعبان المملوكي الذي كلفه بالاغارة على جزر العدو فقام في 29 رجب 769 هـ (مارس 1368م) من ثغر الاسكندرية في مركبين حربيين بهما خمسمائة مقاتل ـ متجها إلى جزيرة قبرص وما جاورها من جزر فعاد محملا بالغنائم فارتجت الاسكندرية لقدومه وقد حاول الأسطول الفيومي غزو الأسكندرية من جديد عام 770 هـ فتصدت له المراكب بقيادة الرايس إبراهيم التازي ووسائل الدفاع الساحلي واستعرت معركة بحرية فقد فيها بعض سفنه ففر هاربا.
- الرايس إبراهيم الشط قائد الأسطول السعدي في رباط سلا أيام المنصور الذهبي وكانت هذه الرياسة تعتبر في المغرب خطة للاشراف على القطع والشواني أو العمارة[54].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

54) مناهل الصفا ـ مختصر الجزء الثاني ص 244.

- الرايس أحمد بلقاسم سفير المنصور السعدي إلى انطونيو البرتغالي وإلى إنجلترا (الوثائق الغميسة ـ دوكاستر ج 2 ق 1 1 ص 159 ـ فرنسا).
- الرايس حماني : رايس بحري جزائري وجه للسلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام العلوي إلى عامله بتطوان الحاج عبد القادر أشعاش أمرا بإعانته (رسالة مؤرخة ب 21 رجب 1261 هـ / 26 يوليوز 1845م).
- الرايس سالم رئيس البحر في عهد سيدي محمد بن عبد الله وقائد السفينة التي بنيت من طابقين عام 1174 هـ / 1761م (تاريخ الضعيف ص 177).
- الرايس شعبان قبطان الأسطول الأمامي الجهادي ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية والقطائع البحرية في عهد المنصور السعدي.
(مناهل الصفا ـ مختصر الجزء الثاني ص 245).
- الرايس صالح اميرال أسطول المغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أرسله إلى تطوان عام 1181 هـ للضغط على الرايس على القرصني لإرجاع البواخر الفرنسية الثلاث التي اقتنصها في عرض البحر المتوسط.
(هسبريس م 1 عام 1960).
- الرايس الطرابلسي قائد الحراقة التي بلغ عدد مدافعها في عهد السلطان محمد بن عبد الله خمسة وأربعين مدفعا.
- الرايس على القرصني كان يسكن بسلا ويجول في جفنته الجهادية بين الجزائر وسلا وقد وصل عام 1035 هـ / 1625م إلى هولاندة مع ثلاثة من القراصنة.
(دوكاستر ـ س. أ. ـ السعديون م 3 ص 371 / هولندا م 4 ص 93 (1913).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الرايس على عواد السلاوي رئيس البحر أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله (تاريخ الضعيف ـ مخطوط الرباط ص 177 / تاريخ تطوان ـ محمد داود ج 2 ص 181).
- الرايس عمر : قائد قرصاني كان يجول المتوسط واقتنص عام 1181 هـ / 1767م باخرة فرنسية حمولتها سبعون طنا هي Thèrese وقادها إلى ساحل تطوان وباخرتين اخريين ساقها إلى مرسى المعمورة أو المهدية فضغط عليه السلطان المولى محمد بن عبد الله برد البواخر إلى أصحابها. (هسبريس م 1 عام 1960).
- زيد بن فرحون قائد أسطول بجاية أيام الحفصيين شارك في وقعة طريف عام 740 هـ / 1339م بست عشرة قطعة بحرية.
- سالم بن راشد قائد البحر الفاطمي أغار عام 317 هـ مع القائد صابر الفتى على طارنت Tarentum بالسواحل الإيطالية وكذلك سالرنو ونابل.
(ابن الأثير ص 54).
- سليمان بن معاذ الأنطاكي قائد إحدى حملات الأسطول الإسلامي على القسطنطينية عام 98 ص استطاع إغلاق الممرات المؤدية إلى البحر الأسود ولكن الزوابع حطمت أسطوله الذي يقال إنه كان يتركب من 1.700 سفينة واستمر الحصار مع ذلك إلى أن توفى القائد سليمان عام 99 ص فاضطربت صفوف البحريين.
- صابر الفتى الصقلي القائد الفاطمي غزا السواحل الإيطالية عام 315 هـ في 44 شينيا فأصاب كثيرا من الغنائم.

صالح رئيس البحر في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- صاعد بن كلمل قائد أسطول عباسي ساعد الاخشيدي على تولي إمارة مصر حيث أقبل إلى تنيس ودمياط واستولى على البلاد عام 323 هـ ولكن جندا من المغاربة قتلوه وعادوا بسفنه إلى الفسطاط وأحرقوا دار الصناعة بالروضة مما حدا الاخشيد عام 325 هـ إلى نقلها إلى دار خديجة بنت الفتح بن خاقان بساحل الفسطاط.
- عبد الله بن سليمان قائد الأسطول الموحدي في عهد عبد المومن بن علي. (البيان لابن عذاري ج 3 ص 32).
- عبد الله بن سعد تولى قيادة أسطول من مائتي مركب[55] جهزه معاوية ابن أبي سفيان بعد أن خرج مع أهل مصر والشام لمحاربة البيزنطيين في أراضيهم وكان مجموع الأسطول سبعمائة قطعة[56].
- عبد الله بن طاع الله قائد البحر في عهد الناصر الموحدي ووالي جزيرة ميورقة.
- عبد الله بن طاهر أشرف عام 210 هـ على سفن عباسية كانت مرابطة في طرسوس لمحاصرة الأندلسيين الربضيين الذين كانوا قد استولوا على الاسكندرية فصالحوه على الخروج إلى اقريطش بقيادة أميرهم عمر بن شعيب في أربعين سفينة.
- عبد الله بن قيس الفزاري قائد الحملة البحرية عام 47 هـ ضد بلاد بيزنطة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

55) فتوح مصر والمغرب ـ ابن عبد الحكم ص 256.

56) الطبري ج 5 ص 69 (أحداث سنة 31 هـ) ويظهر أن الأسطول البيزنطي كان يتألف من ألف سفينة (ابن عبد الحكم ص 256).

- عبد الله بن وزير صاحب مدينة حيلة حوالي 332 هـ لم يكن في زمنه أبصر منه في البحر الرومي انقادت له المراكب الحربية (مروج الذهب للمسعودي ج 1 ص 129).
- العربي حكم الرباطي رئيس البحر أيام سيدي محمد بن عبد الله.
(تاريخ الضعيف ـ مخطوط الرباط ص 177).
- العربي المستاري من رؤساء البحر في عهد سيد محمد بن عبد الله العلوي.
- عقبة بن عامر الجهني قائد الحملة البحرية على بيزنطة في أسطول من أهل مصر عام 48 هـ.
- علي بن بدر قائد سفن المغاربة في مصر التي انتصر عليها الاخشيدي عام 323 هـ بقيادة صاعد بن كلم فقتل هذا الأخير وأحرق المغاربة دار الصناعة بالروضة عام 325 هـ.
- علي بن خلاص صاحب سبتة قائد الأسطول الذي أنشأه عام 643 هـ / 1245م فغرق عند خروجه من سبتة في طريقه إلى البيعة لأبي وكرياء الحفصي في تونس.
(الاستقصا ج 1 ص 203).
- علي بن عيسى قائد الأسطول المرابطي كانت قطعه تتردد بين العدوتين.
(البيان المعرب لابن عذاري ج 3 ص 21 طبعة الرباط).
- علي بن ميمون أمير البحر في عهد يوسف بن تاشفين.
- عمر بن حفصون إمام الثوار في الأندلس بين عامي 238 هـ 305 هـ (852 ـ 917م) سانده الخليفة المهدي الفاطمي ضد دولة بني أمية وقد سير إليه المهدي مراكب رست عام 301 هـ / 913م بالساحل الجنوبي من الأندلس وكان الأمير عبد الرحمن بن محمد قد شرع في هذه السنة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمهاجمة السفن الفاطمية في الجزيرة الخضراء وتحريقها (ابن عذاري ج 2 ص 247 / تاريخ ابن خلدون ج 4 ص 33) وبعد أن أيد أبا يزيد مخلدا بن كيداد اليفرني الثائر على الفاطميين عام 335 هـ (ابن عذاري ج 2 ص 321).

- عمر بن شعيب أبو حفص قائد الأندلسيين الربضيين في الاسكندرية قاد عام 211 هـ أسطولا من أربعين سفينة لفتح جزيرة اقريطش حصنا حصنا إلى أن أكملوها عام 230 هـ.
(البلاذري ج 1 ص 279).

- عمر بن هبيرة الفزاري قائد حملة بحرية على بلاد الروم عام 97 هـ.

- غالب بن عبد الرحمن الناصري أمير البحر وقائد الأسطول الأندلسي الذي هاجم سواحل إفريقية الفاطمية عام 345 هـ في ستين سفينة وخاصة ساحل مدينة سوسة ومرسى الخرز شرقي بونة.
(ابن عذاري ـ طبعة بيروت ج 2 ص 318).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- غانم بن محمد بن مردنيش : عينه يوسف بن عبد المومن بن علي الموحدي عام 575 هـ / 1179م قائدا لأسطوله.
(الاستقصا ج 1 ص 161).

- القبطان عبد الله بن محمد العربي فنيش كان من جملة القباطنة قواد السفن البحرية في القرن الماضي من، وجه السلطان عام 1278 هـ / 1862م معه للتوقيع على اتفاقية مليلية القبطان أحمد ولد المقدم.

- الكوار الرباطي رئيس البحر في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله تاريخ الضعيف ص 77.

- ليو الطرابلسي قائد بحري ذكره المسعودي باسم «لاوي المكنى بأبي الحرب غلام زرافة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق وكان يشرف على المراكب في البحر الرومي.
(مروج الذهب ج 1 ص 129).
وكان طرسوس قاعدة سفنه وقد أغار عام 291 هـ منها على ثغر سالونيك وهي أهم ثغور بيزنطة بعد القسطنطينية ففتحها عنوة واستنفذ من أسرى المسلمين أربعة آلاف وظفر بستين مركبا بيزنطيا.

- مالك بن عبيد الله قائد الحملة البحرية على أرض الروم عام 46 هـ.

- مالك بن هبيرة قائد الحملة البحرية على بيزنطة عام 47 هـ.

- محمد بن شلطور قائد أسطول المنكب والمزوار بمراكش.
(الدرر الكامنة ج 4 ص 278).

- محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم شيخ آل العزفي كان قائد أسطول سبتة عام 720 هـ / 1320م.

- محمد زرقون بن علي قائد أسطول المنصور السعدي في النيل (النيجر) بالسودان (السنغال اليوم).
(درة الحجال ج 1 ص 313).

- محمد بن ميمون قائد الأسطول المرابطي في المرية ساند عام 539 هـ / 1145م الخليفة تاشفين بوهران.

- محمد بن يوسف المعروف بالأبكم من أمراء بني الأحمر قائد الأسطول المريني عام 757 هـ / 1356م.
(الاستقصا ج 2 ص 99).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- محمد الثغيري رايس السفينة في سفارة الأميرال عبد الله بن عائشة إلى فرنسا (دوكاستر ـ س. 2. الفلاليون م 5 (1698).
- محمد الرايس التاج التطواني قائد سفينة ثقفها الأسطول الفرنسي فوجه السلطان المولى إسماعيل إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر رسالة مؤرخة بتاسع شعبان 1095 هـ / 22 يوليوز 1684م يؤاخذه فيها على المماطلة في إرجاع السفينة ووجه إليه عام 1685م سفيره الحاج محمد تميم للمطالبة من جديد.

تاريخ تطوان ج 4 ص 144 / هسبريس ـ تمودة م 9 ص 447 عام 1968.

- محمد قنديل السلوي رئيس مركب كان في ملك المولى إسماعيل وقد أسر في فرنسا وافتداه السلطان عام 1100 هـ / 1688م.

دوكاستر ق 2 العلويون م 4 ص 340 / ق 2 فرنسا م 3 ص 172.

- مراد برتقيش قائد بحري تركي سكن بتطوان كانت له (فركاطة) يغير بها على سواحل الافرنج ويعود إلى تطوان بالغنائم فقتله الشيخ المامون السعدي.

(تاريخ الدولة السعدية ص 95.

- مراد الرايس : قرصان ألباني كان يقيم بالجزائر لجأ إلى العرائش بعد أن هاجم جزيرة (الانزروط) وهي إحدى الجزائر الخالدات عام 995 هـ / 1586م.

وكان يعرف بمورات الريس العلج من قرصان سلا الألبانيين الجنوبيين (دوكاستر ـ م 1 ص 290 / م 2)، 125 / م 3 ص 285.

- مريم قائد تركي علي ورش المراكب في العرائش.

(دوكاستر ق 1 ـ السعديون ـ البرتغال م 4 ص 319).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسعود الفتي قائد أسطول فاطمي غزا عام 310 هـ إقليم قلورية في السواحل الإيطالية في عشرين شينيا فاستولى على مدينة أغاتى (Agata).

مسلمة بن عبد الملك أخو الوليد الأموي قاد حملة بحرية ضد الامبراطورية البيزنطية عام 94 هـ وقد اتخذ من منطقة الثغور بآسيا الصغرى مجالا لتدريبات قوته ثم قام عام 98 هـ في عهد أخيه سليمان بن عبد الملك فوصل إلى مشارف القسطنطينية في جيش عدته ثمانون ألف مقاتل ونصب عليها المجانيق.

وتقول روايات بيزنطية إن الأسطول الإسلامي بلغ 1800 سفينة كبيرة ولكن النار الاغريقية احرقت الكثير منها ولم يكن العرب قد اكتشفوا آنذاك قاذفات اللهب النفطية.

يحي بن أبي زكرياء الهزرجي قائد الأسطول الموحدي عام 600 هـ 1203م وقد ذهب لقتال ابن غانية.

يحي الرنداحي أشرف على أسطول سبتة قبل عام 720 هـ (الاستقصا ج 2 ص 55).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعقوب بن اسحق قائد البحر الذي بعثه إسماعيل المنصور على رأس الأساطيل من المهدية إلى سوسة عام 334 هـ عندما اشتد حصار أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الثائر عليها فاوقعوا به لدى وصول المؤن والاقوات الفاطمية وقد غزا جنوة وسردينية ودانية وكرسيكة حوالي 317 هـ (ابن خلدون ـ المقدمة ج 2 ص 629).

يوسف البربري استخدمه روجير الثاني ملك صقلية على سفنه وعينه أبو يعقوب يوسف الموحدي أمير الا فجعل من أسطول الخليفة أعظم أسطول في المتوسط.

(أندري جوليان ـ تاريخ إفريقيا الشمالية ص 412).

الرباط **عبد العزيز بن عبد الله**